قيام الليل عند السلف

هدى السلف فى القيام

فائدة هامة

قبل الدخول فى سيرة سلفنا بعد الصحابة نعرّج بك على كلام طيب للشاطبى فى الاعتصام (١/٣٠٨ - ٣١٣) : - قال رحمه الله : -

[إن ما تقدم من الأدلة على كراهية الالتزامات التى يشق دوامها معارض بما دل على خلافه ، فقد كان رسول الله ﷺ يقوم حتى تورمت قدماه ، فيقال له أوليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : « **أفلا أكون عبداً شكورا** ؟ » ويظل اليوم الطويل فى الحر الشديد صائماً ، وكان ﷺ يواصل الصيام ويبيت عند ربه يطعمه ويسقيه ونحو ذلك من اجتهاده فى عبادة ربه وفى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ونحن مأمورون بالتأسى به » . فإن أبيتم هذا الدليل بسبب أنه ﷺ كان مخصوصاً بهذه القضية ولذلك كان ربه يطعمه ويسقيه ، وكان يطيق من العمل مالا تطيقه أمته . فما قولكم فيما ثبت من ذلك عن الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين العارفين بتلك الأدلة التى استدللتم بها على الكراهة حتى أن بعضهم قعد من رجليه من كثرة التبتل ، وصارت جبهة بعضهم كركبة البعير من كثرة السجود وجاء عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان إذا صلى العشاء أوتر بركعة يقرأ فيها القرآن كله ، وكم من رجل صلى الصبح بوضوء العشاء كذا كذا سنة ؟ وسرد الصيام كذا كذا سنة ؟ ! وكانوا هم العارفين بالسنة لا يميلون عنها لحظة . وروى عن ابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم أنهما كانا يواصلان الصيام . وأجاز مالك وهو إمام فى الاقتداء صيام الدهر ، يعنى إذا أفطر أيام العيد ، ومما يحكى عن أويس القرنى رضى الله عنه أنه كان يقوم ليلة حتى يصبح ويقول : بلغنى أن لله عباداً سجوداً أبداً - إن لله عبادًا ركوعًا أبدا وعباداً قياماً أبداً - يريد أنه يتنفل بالصلاة فتارة يطول فيها القيام ، وتارة الركوع

والسجود . وعن الأسود بن يزيد أنه كان يجهد نفسه فى الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة يقول له : ويحك لم تعذب هذا الجسد فيقول إن الأمر جد ، إن الأمر جد والآثار فى المعنى كثيرة عن الأولين ، وهى تدل على الأخذ بما هو شاق فى الدوام ، ولم يعدهم أحد بذلك مخالفين للسنة ، بل عدوهم من السابقين ، جعلنا الله منهم وأيضاً فإن النهى ليس عن العبادة المطلوبة ، بل هو عن الغلو فيها ـ غلوًا يدخل المشقة على العامل . فإذا فرضنا من فقدت فى حقه تلك العلة ، فلا ينهض النهى فى حقه ، كما إذا قال الشارع ، لا يقض القاضى وهو غضبان ، وكانت علة النهى تشويش الفكر عن استيفاء الحجج ـ اطرد النهى مع كل مشوش وانتفى عند انتفائه ، حتى إنه منتف مع وجود الغضب اليسير الذى لا يمنع من استيفاء الحجج وهذا صحيح جار على الأصول . وحال من فقدت فى حقه العلة حال من يعمل بحكم غلبة الخوف أو الرجاء أو المحبة فإن الخوف سوط سائق والرجاء حادٍ قائد ، والمحبة سيل حامل ، فالخائف إن وجد المشقة ـ فالخوف مما هو أشق ، يحمله على الصبر على ماهو أهون ، وإن كان العمل شاقاً . والراجى يعمل وإن وجد المشقة لأن رجاء الراحة التامة يحمله على الصبر على بعض التعب ، والمحب يعمل ببذل المجهود شوقاً إلى المحبوب فيسهل عليه الصعب ويقرب عليه البعيد ، وهو القوى (كذا) ولا يرى أنه أوفى بعهد المحبة ولا قام بشكر النعمة ، ويعمر الأنفاس ولا يرى أنه قضى نهمته .

وإذا كان كذلك صح الجمع بين الأدلة وجاز الدخول فى العمل التزاماً مع الايغال فيه ، إما مطلقاً ، وإما مع ظن انتفاء العلة ، وإن دخلت المشقة فيما بعد ، إذا صح مع العامل الدوام على العمل ، ويكون ذلك جاريًا على مقتضى الأدلة وعمل السلف الصالح .

والجواب إن ما تقدم من أدلة النهى صحيح صريح ، وما نقل عن الأولين يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) أن يحمل أنهم عملوا على التوسط الذى هو

مظنة الدوام ، فلم يلزموا أنفسهم بما لعله يدخل عليهم المشقة حتى يتركوا بسببه ما هو أولى ، أو يتركوا العمل ، أو يبغضوه لثقله على أنفسهم بل التزموا ما كان على النفوس سهلاً فى حقهم فإنما طلبوا اليسر لا العسر ، وهو الذى كان حال رسول الله ﷺ ، وحال من تقدم النقل عنه من المتقدمين ، بناءً على أنهم عملوا بمحض السنة والطريقة العامة لجميع المكلفين . وهذه طريقة الطبرى فى الجواب ، وما تقدم فى السؤال مما يظهر منه خلاف ذلك فقضايا وأحوال يمكن حملها على وجه صحيح ، إذا ثبت أن العامل ممن يقتدى به .

و (الثانى) : يحتمل أن يكونوا عملوا على المبالغة فيما استطاعوا ، لكن على جهة الالتزام لا بنذر ولا غيره ، وقد يدخل الإنسان فى أعمال يشق الدوام عليها ولايشق فى الحال فيغتنم نشاطه فى حالة خاصة غير ناظرفيها فيما يأتى ، ويكون جاريًا فيه على أصل رفع الحرج حتى إذا لم يستطعه تركه ولا حرج عليه لأن المندوب لا حرج فى تركه فى الجملة . فتأملوا وجه اعتبار النشاط والفراغ من الحقوق المتعلقة أو القوة فى الأعمال . وأما ما نقل عنهم من أدلة الصبح بوضوء العشاء وقيام جميع الليل وصيام الدهر ، ونحوه فيحتمل أن يكون على الشرط المذكور ، وهو أن لا يلتزم ذلك وإنما يدخل فى العمل حالاً يغتنم نشاطه ، فإذا أتى زمان آخر وحد فيه النشاط أيضًا ، وإذا لم يخل بما هو أولى عمل كذلك ، فيتفق أن يدوم له هذا النشاط زمانًا طويلا .. وفى كل حالة هو فى فسحة الترك ، لكنه ينتهز الفرصة مع الأوقات ، فلا بُعْدَ فى أن يصحبه النشاط إلى آخر العمر ، فيظنه الظان التزامًا وليس بالتزام . وهذا صحيح ، ولا سيما مع سائق الخوف أو حادى الرجاء أو حامل المحبة ، وهو معنى قوله ﷺ : « **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » فلذلك قام ﷺ حتى تورمت قدماه ، وامتثل أمر ربه فى قوله تعالى : ﴿**قم الليل إلا قليلا**﴾ الآية .

(والثالث) : أن دخول المشقة وعدمه على المكلف فى الدوام أو غيره ، ليس أمرًا منضبطاً بل هو إضافى مختلف بحسب اختلاف الناس فى قوة

أجسامهم ، أو فى قوة عزائمهم ، أو فى قوة يقينهم ، أو نحو ذلك من أوصاف أجسامهم أو أنفسهم فقد يختلف العمل الواحد بالنسبة إلى رجلين لأن أحدهما أقوى جسمًا أو أقوى عزيمة أو يقينًا بالموعود ، والمشقة قد تضعف بالنسبة إلى قوة هذه الأمور وأشباهها ، وتقوى مع ضعفها .

فنحن نقول : كل عمل يشق الدوام على مثله بالنسبة إلى زيد فهو منهى عنه ، ولا يشق على عمرو فلا ينهى عنه . فنحن نحمل ما داوم عليه الأولون من الأعمال على أنه لم يكن شاقاً عليهم ، وإن كان ما هو أقل منه شاقاً علينا ، فليس عمل مثلهم بما عملوا به حجة لنا أن ندخل فيما دخلوا فيه ، إلا بشرط أن يمتد مناط المسألة فيما بيننا وبينهم وهو أن يكون ذلك العمل لا يشق الدوام على مثله .

وليس كلامنا فى هذا لمشاهدة الجميع ، فإن التوسط والأخذ بالرفق هو الأولى والأحرى للجميع ، وهو الذى دلت عليه الأدلة . دون الإيغال الذى لا يسهل مثله على جميع الخلق ولا أكثرهم إلا على القليل النادر منهم .

والشاهد لصحة هذا المعنى قوله ﷺ : « **إنى لست كهيئتكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى** » يريد ﷺ أنه لا يشق عليه الوصال ، ولا يمنعه عن قضاء حق الله وحقوق الخلق . فعلى هذا :

مَن رزق أنموذجاً مما أعطيه ﷺ فصار يوغل فى العمل مع قوته ونشاطه وخفة العمل عليه فلا حرج .

وأما رده ﷺ على عبد الله بن عمرو فيمكن أن يكون شهد بأنه لا يطيق على الدوام ، ولذلك وقع له ما كان متوقعاً ، حتى قال :

ليتنى قبلت رخصة نبى الله ﷺ ، ويكون عمل ابن الزبير وابن عمر وغيرهما فى الوصال جاريًا على أنهم أُعطوا حظاً مما أعطيه رسول الله ﷺ ، وهذا بناء على أصل مذكور فى كتاب الموافقات والحمد لله ، وإذا كان كذلك لم يكن فى العمل المنقول عن السلف مخالفة لما سبق] ا . هـ .

قيام سيد التابعين « أويس القرنى » :

قال رسول الله ﷺ : « **إن خير التابعين رجل يقال له أويس ـ مروه فليستغفر لكم** » وفى رواية أخرى « **لو أقسم على الله لأبره** » .

[يسميه الشاطبي (سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة) ، ويصفه الذهبي بأنه (القدوة سيد التابعين فى زمانه) كان ابن حنبل يضرب به المثل فى الزهد فيقول (لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد فى قوصرة)[1] . عاش أويس مستغرقاً فى العبادة فهو فى نهاره دائم الصلاة وفى ليلة قائم حتى يصبح يقول (بلغنى أن لله عبادًا سجوداً أبداً) وربما يقصد بذلك التشبه بالملائكة . لأننا نقرأ له فى نص آخر (لأعبدن الله فى الأرض كما تعبده الملائكة فى السماء)[2]] .

عن الربيع بن خيثم أنه قال : أتيت أويساً القرنى فوجدته قد صلى الصبح وقعد فقلت : لا أشغله عن التسبيح ، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر ، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر ، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب ، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء ، فلما صلى العشاء صلى إلى الصبح ، فلما صلى الصبح جلس فأخذته عينه ، ثم انتبه فسمعته يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عين نوامة وبطن لا تشبع »[3] .

رحمك الله يا أويس تكره هذه الإغفاءة الخاطفة وتؤنب نفسك عليها . « ولهذا يعده الشاطبي ممن يأخذ بما هو شاق فى الدوام . ومع هذا لا يعتبر مخالفاً

(١ ، ٢ ، ٣) انظر الزهاد الأوائل مصطفى حلمى من ص ٨٤ ـ ٨٩ ، الاعتصام ٣٠٩/١ ، تنبيه المغترين ص ١١٥ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ابن سعد فى الطبقات ، ابن عساكر فى التاريخ ١٧٤/٣ تفسير التسترى ص ٩٤ .

ملحوظة : استبعد ابن حزم الحديث النبوى فى وصف أويس والظاهر أنه ليس وحده ذهب إلى ذلك لأن ابن عساكر يذكر أن قوما من المحدثين أنكروا أويسا بالكلية ويعلق على ذلك بقوله (وأمر أويس مشهور فلا معنى لهذا القول) وأين حديث مسلم فيه ؟ !

للسنة ، بل إنه من السابقين الأولين ، ألم يكن الرسول ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه »[1] .

● نظر إليه رجل فقال مالى أراك مريض الدهر فقال أويس : « ومال لأويس لا يكون مريضاً ، إن المريض يطعم وأويس غير طاعم ، وينام المريض وأويس غير نائم .. ثم قال : ياعجبًا مِمَّنْ يعلم أن الجنة تزين فوقه ، وأن النار تسعر تحته ، كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما »[2] .

وانظر إلى سيد من سادات المسلمين حبسه العرى عن صلاة الجماعة أحياناً ، سيد لا يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيقول « إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً » يسأله الخليفة أن يكتب إلى عامل إالكوفة ليستوصى به رفض ، قال (أكون فى غبر الناس أحبّ إلى) إلا أنه كان ينصح هرم بن حيّان بلزوم الجماعة يقول له « لا تفارق الجماعة فتفارق دينك » ، بل إنه من فرط إحساسه بالإنتماء للجماعة يود لو شارك فى إسعاد المسلمين جميعاً فيوفر لهم المأكل والمشرب ، فهو فى دعائه وتوسله إلى الله يخاطب ربه بكلمات عميقة الدلالة فيقول (اللهم إنى أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عارى ، فإنه ليس فى بيتى من الطعام إلا ما فى بطنى ، وليس شىء من الدنيا إلا ما على ظهرى » ولم يكن على ظهره حينذاك إلا خرقة) .

(١ ، ٢) انظر المراجع السابقة .

قيام سيد التابعين : سعيد بن المسيب رحمه الله :

● عن عبد الله بن إدريس عن أبيه قال : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة ، وكان يسرد الصوم [1] .

قيام الأحنف بن قيس[2] : « سيد أهل البصرة » رحمه الله :

سيد أهل البصرة صاحب الحزم والرأى رحمه الله .

● «كان عامة صلاته بالليل الدعاء ، وكان يضع المصباح قريباً منه ، فيضع إصبعه عليه فيقول : حِسٌّ يا أحنف ، ما حملَك على ما صنعت يوم كذا وكذا يعنى كذا وكذا »[3] .

● انظر إلى حال التابعى الكبير وقيامه ومحاسبته لنفسه ، ومع هذا يدعو بالمصحف يومًا حتى يعلم من هو ، فينشر المصحف فمرّ بقوم ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ ومر بقوم ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً** ﴾ فوقف ثم قال : « اللهم لست أعرف نفسى ههنا »[4] .

---

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) أسلم على عهد النبى ﷺ ولم يره ودعا له النبى ﷺ ، يعد فى كبار التابعين بالبصرة مات سنة سبع وستين ، وقال له عمر بن الأحنف سيد أهل البصرة ، ومشى مصعب بن الزبير فى جنازته وقال يوم موته : ذهب اليوم الحزم والرأى .

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٣٥ .

(٤) مختصر قيام الليل للمقريزى ص ١٧ .

قيام عامر بن عبد الله ... عامر بن عبد قيس «راهب العرب» :

• عن الحسن أن عامر بن عبد قيس قال : «إنى وجدت عيش الناس فى أربع : فى النساء والطعام واللباس والنوم ، فأما اللباس فوالله ما أبالى ما واريت به عورتى ، وأما النساء فوالله ما أبالى امرأة رأيت أو جدارًا ، وأما النوم والطعام فقد غلبانى إلاّ أن أصيب منهما ، فوالله لأضرّن بهما جهدى» قال الحسن : «فأضرّ والله بهما جهده حتى مات رحمه الله»[1] وقلما نام الليل رحمه الله .

انظر إلى هذا العَلَم وهو يقول «اللهم إن هؤلاء يغدون ويروحون ولكُلٍّ حاجة ، وإن حاجة عامر أن تغفر له .

• وكان رحمه الله يوبخ نفسه بعد أن انتفخت ساقاه وقدماه من طول القيام فيقول : يا نفس إنما خلقت للعبادة يا أمارة السوء . قومى يا مأوى كل سوء ، فوعزة ربك لأزحفنّ بك زحوف البعير ، ولئن استطعت أن لا يمس الأرض من زهمك لأفعلن ، ثم يتلوى كما تتلوى الحبة على المقلى ، ثم يقول «اللهم إن النار قد منعتنى من النوم فاغفرلى» .

• وكان يصوم أغلب الدهر ويقوم الليل ، فقيل له فى ذلك ، فقال : «وما هذا إن هو إلا أنى قد جعلت طعام النهار إلى الليل ، ونوم الليل إلى النهار وليس فى ذلك كبير أمر»[2] . وكان طعامه طيلة يومه رغيفين رحمه الله ، وكان يتمثل ويردد «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها» .

وكان إذا جاء الليل قال : أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح ، وإذا جاء النهار قال : أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمس ، فإذا جاء الليل قال :

---

(١) الزهد ص ٢٢٤ .

(٢) تنبيه المغتربين ص ١١٥

منْ خاف أَدلج ، وعند الصباح يحمد القوم السرى »[1] .

● وقال مالك بن دينار : قالت المرأة التى نزل عليها عامر بن عبد قيس : ما للناس ينامون وأنت لا تنام . قال : إن جهنم لا تدعنى أنام .

وكان إذا قام من الليل يقول : أبت عيناى أن تذوق طعم النوم مع ذكر النار[2] .

● بعث معاوية إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله فكان يقوم الليل كله ، ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئًا ، كان يجىء معه بكسر فيجعلها فى ماء فيأكلها ، ويشرب من ذلك فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه ، فقال لى : لا إرب لى فى ذلك[3] .

هذا هو حال راهب العرب كما قال كعب

قيام مسروق بن عبد الرحمن أبى عائشة رحمه الله :

قريع القرّاء وسيدهم .... سيد قرّاء أهل الكوفة

العالم بربه ، الهائم بحبه ، الذاكر لذنبه .

حج رحمه الله فما بات إلا ساجداً[4] .

● كانت امرأة مسروق رحمها الله تعالى تقول : ـ « والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالى إلا وساقاه منتفختان من طول القيام ، وكنت أجلس خلفه فأبكى رحمة له ، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالسًا

---

(١) مختصر قيام الليل للمقريزى ص ٢٦ =
(٢) مختصر قيام الليل للمقريزى ص ١٩ =
(٣) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٨٥ انظر ترجمته فى الإصابة والحلية والطبقات الكبرى =
(٤) حلية الأولياء ج ٢ ص ٩٥ ، الزهد ص ٣٤٩ =

ولا يترك الصلاة وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف »[1] .

رحمك الله أبا عائشة تبكى زوجك خَلْفَك وأنت تتهجد رحمة لك .. لسان حالك يقول :

أمسي وأصبح من تذكاركم قلقًا   يرثى لى المشفقان الأهل والولدُ
قد خدّد الدمع خدى من تذكركم   واعتادنى المضنيان الشوق والكمدُ
وغاب عن مقلتى نومى فنافرها   وخاننى المسعدان الصبر والجلد

رحمك الله تزحف كما يزحف البعير من الضعف .

لا غرو للدمع أن تجرى غواربه   وتحته الخافقان القلب والكبد
لم يبق إلا خفى الروح من جسدى   فداؤك الباقيان الروح والجسدُ

ابو العالية رحمه الله :

● قال رحمه الله : «كنا نعد من أعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام لا يقرأ منه شيئا »[2] .

أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة : رحمه الله :

● عن على بن الأقمر عن أبى الأحوص أنه قال : « إنْ كان الرجل ليطرق الفسطاط طروقًا بسمع لأهله دويًا كدوى النحل ، ما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون »[3] .

---

(١) تنبيه المغترين ص ١١٤ =
(٢) الزهد لابن حنبل ص ٣٠٣ =
(٣) الزهد ص ٣٤٨ =

فانظر رحمك الله إلى رجل من الرعيل الأول يخبر أن من جاء الفسطاط ليلاً حيث ينزل الصحابة والتابعون يسمع دويّهم لإحياء ليلهم بالعبادة والتهجد ثم يعجب من أمان أهل زمانه مما كان يخاف منه الأوائل . قال أحد الصالحين : « هنيئاً لمن اكتحلت عيناه برؤية تلك الحياة »[1] .

قيام هرم بن حيّان رحمه الله :

الهائم الولهان ، القائم العطشان ، عاش فى حبه ولهان حرقاً ، وعاد قبره حين دفن ريّان غدقاً .

● عن المعلى بن زياد قال : كان هرم بن حيّان يخرج فى بعض الليالى وينادى بأعلى صوته : « عجبت من الجنة كيف ينام طالبها . وعجبت من النار كيف ينام هاربها ، ثم قرأ : ـ ﴿ **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون** ﴾ ثم يقرأ « العصر ، وألهاكم ثم يرجع »[2] .

● وبات رحمه الله عند حممة صاحب رسول الله ﷺ قال : فبات حممة ليلته يبكى كلها حتى أصبح ، فلما أصبح قال له هرم : يا حممة ما أبكاك ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور فتخرج من فيها ، وتناثر نجوم السماء فأبكانى ذلك .

● وتمثل محمد بن نافع فى السحر ببيت من الشعر فرفع هرم عليه السوط وجلده على الظهر قائلاً له : أفى هذه الساعة التى ينزل فيها الرحمن ويستجاب فيها الدعاء تتمثل بالشعر »[3] .

---

(١) شريط قيام الليل للشيخ الطحان .

(٢) الحلية ج ٢ ص ١١٩ ، والزهد ص ٢٣١ .

(٣) الزهد ص ٢٣٢ .

قيام أبي مسلم الخولانى[1] رحمه الله :

كان لأبي مسلم سوط يعلقه فى مسجده فإذا كان السحر ونعس أوملّ أخذ السوط وضرب به ساقيه ، ثم قال : لأنت أولى بالضرب من شر الدواب[2] وفى رواية « قومى لعبادة ربك والله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلال منك لا منّى ، وإنك لأولى بالضرب من الدابة لموضع عقلك وكثرة دعاويك »[3] .

قيام عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس رحمه الله :

قال محمد بن إسحاق: « قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود وهو معتل الرجل فقام يصلى الليلة حتى أصبح شاغرًا رجله قائمًا على رجل وصلى بنا العشاء والفجر بوضوء واحد . وقال رحمه الله من قرأ البقرة فى ليلة تُوّج تاجًا فى الجنة »[1]

---

(١) قال النووى رحمه الله فى بستان العارفين ص ١٨٣ : «اسمه عبد الله بن ثوب بثاء مثلثة مضمومة ثم واو مفتوحة مخففة ثم باء موحدة ويقال ابن ثواب ويقال ابن أثوب . وهو من أهل اليمن سكن الشام وكان من كبار التابعين ، وكان قد رحل إلى رسول الله ﷺ ليصحبه فتوفى النبي ﷺ وهو فى الطريق فجاء ولقى أبا بكر الصديق وعمر وغيرهما من الصحابة .
وبإسناد الحافظ أبى طاهر السلفى عن شرحبيل بن الأسود أن الأسود ابن قيس العنسى الكذاب لما ادّعى النبوة بعث إلى أبى مسلم الخولانى ، فلما جاءه قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأجّجت فألقى فيها أبا مسلم فلم تضره . فقيل : أنفِه عنك وإلا أفسد عليك من تبعك ، فأمره بالرحيل ، فأتى أبو موسي المدينة وقد توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلى إلى سارية فبصر به عمر فقام إليه فقال من الرجل ؟ فقال : من أهل اليمن . قال : فلعلك الذى حرقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب ، قال : نشدتك الله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم ، فاعتنقه ثم بكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبى بكر فقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ مَنْ فُعِل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن » . وروى عنه أنه كان يقول إذا فتر « أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً » .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨

(٣) تنبيه المغترين ص ١١٦

قيام الحسن البصرى :

حليف الخوف والحزن ، أليف الهمّ والشجن ، عديم النوم والوَسَنْ أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن .

قيل مرة ليونس بن عبيد : هل رأيت أحدًا يعمل بعمل الحسن البصرى فقال : والله ما رأيت من يقول بقوله فكيف أرى من يعمل بعمله ! ! «كان وعظه يبكى القلوب ووعظ غيره لا يبكى العيون »[٢] .

كان إذا قدم فكأنما أقبل من دفن حميم له ، وإذا بكى فكأن النار لم تخلق إلاّ له ، رضع لبان الحكمة من أم سلمة رضى الله عنها .

● قال رحمه الله : إنى لم أجد من العبادة شيئاً أشد من الصلاة فى جوف هذا الليل[٣] .

● وعنه قال : فى قوله تعالى : ﴿ **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً** ﴾ قال : « من عجز بالليل فإنّ له فى النهار مستعتب ، ومن عجز فى النهار كان له فى الليل مستعتب »[٤] .

● قال الحسن : « إذا نام العبد ساجداً باهى الله به الملائكة يقول : انظروا إلى عبدى ، يعبدنى وروحه عندى وهو ساجد »[٥] .

● وقال رحمه الله : « ما عمل عملاً بعد الجهاد فى سبيل الله أفضل من ناشئة الليل »[٦] .

---

(١) الزهد ص ٣٦١ ، ٣٦٠ وتهذيب التهذيب ص ١٤٠
(٢) تنبيه المغترين ص ٩
(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٥٩
(٤) الزهد لابن حنبل ص ٢٧٢
(٥) الزهد ص ٢٨٠ ؟
(٦)

● وعنه رحمه الله : « والله لقد أدركت أقواماً ، وصحبت طوائف منهم ، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ، ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب ، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يطوله ثوب قط ، ولا نُصب له قدر ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً ، ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط ، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها ، وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها ، فما زالوا كذلك على ذلك ، فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة ، وإنكم أصبحتم فى أجل منقوص ، والعمل محفوظ ، والموت والله فى رقابكم ، والنار بين أيديكم ، فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة »[1] .

كلمات للحياة :

وعن الحسن رحمه الله ـ وكلامه يستمطر الدمع لصدقه ، وليست الثكلى كالنائحة المستعاره ـ يقول :

« إن لله عز وجل عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين ، وكمن رأى أهل النار فى النار مخلدين قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، حوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياماً قصاراً تعقب راحة طويلة .

أما الليل فَمُصَّافَّةٌ أقدامهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، يجأرون : ربنا ربنا ، وأما النهار فحلماء علماء ، بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أو خولطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم »[2] .

---

(١) الزهد ص ٢٨٥

(٢) حلية الأولياء ص ١٥١ . ج ٢

● ويقول رحمه الله فى قوله تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقيامًا** ﴾ قال : « الذين يمشون على الأرض بالوقار والسكينة ، حلماء لا يجهلون وإن جُهل عليهم حلموا ، ذلت والله الأبدان والأبصار حتى حسبهم الجاهل مرضى ، والله ما بالقوم من مرض وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنع منهم الدنيا علمهم بالآخرة ، هذه أخلاقهم التى انتشروا بها فى الناس ، وهم الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، أسهروا والليل الأعين ، وهضموا فى الآخرة كل شيء ، والله ما تعاظم فى أنفسهم شيء طلبه به الجنة ، وقالوا حين دخلوا الجنة : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور » ثم يقول رحمه الله :

« والله لقد كابدوا فى الدنيا أحزانًا شديدة وخوفاً شديداً ، والله ما أحزنهم من أحزان الناس شيء ، أبكاهم الخوف من النار ، وأن الله لن يجمع على المؤمن خوف الدنيا وخوف الآخرة ، فعجلوا الخوف حتى تلقوا ربكم » . وقال : « ذكر ليلهم خير ليل فقال : والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجداً لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقاً من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم ، صدق القوم والله الذى لا إله إلاّ هو فعملوا ، وأنتم تتمنون ، فإيّاكم وهذه الأمانىّ رحمكم الله ، فإن الله لم يعط عبداً منيته خيراً فى دنيا ولا آخرة » ، وكان يقول : « يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة » .

● ثم قال رحمه الله : « لقد صحبت أقواماً يبيتون لربهم فى سواد هذا الليل سجدًا وقيامًا ، يقومون هذا الليل على أطرافهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، فمرة ركعاً ، ومرة سجداً ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، لم يملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء فى يوم المرجع ، فأصبح القوم لما

أصابوا من النصب لله فى أبدانهم فرحين ، وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين فرحم الله إمرءًا نافسهم فى مثل هذه الأعمال ، ولم يرض لنفسه من نفسه بالتقصير فى أمره ، واليسير من فعله ، فإن الدنيا عن أهلها منقطعة ، والأعمال على أهلها مردودة [1] ، ثم يبكى حتى تبل لحيته بالدموع .

● وعنه : «كان يقال ما عمل الناس من عمل أثبت فى خير من صلاة فى جوف الليل ، وما فى الأرض شيء أجهد للناس من قيام الليل والصدقة» وكان رحمه الله يصلى قائماً ، فإذا عيي صلّى قاعداً ، فإذا فتر صلى مضطجعاً » [2]

● وكان رحمه الله يقول : «كان أحدهم يبيت يقرأ القرآن فيصبح يعرف ذلك فيه ، وأحدهم اليوم يقرأ القرآن فكأنما يحمل به ردا كتان » [3] .

● وقال أيضًا رحمه الله : « قرّاء القرآن ثلاثة أصناف : صنف اتخذوه بضاعة ، وصنف أقاموا حروفه وضيّعوا حدوده ، واستطالوا به على أهل بلادهم ، واستدروا به الولاة ، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن لاكثرهم الله ، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فاستشعروا الخوف ، وركدوا فى محاربهم ، وخبّوا فى برانسهم فأولئك الله ينصر بهم على الأعداء ، ويسقى بهم الغيث ، فوالله لهذا الصنف من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر » .

● وكان رحمه الله يقول لمجتهدى زمانه فى العبادة : « والله إن اجتهادكم اللعب بالنظر لمن كان قبلكم » [4] .

● صدقت يا طبيب القلوب ، يا من نافست من سبقك حتى يعلم أصحاب

---

(١) مختصر قيام الليل ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧.
(٢) مختصر قيام الليل ص ١٢٦.
(٣) الحلية ص ١٥٠ ج ٨ .
(٤) تنبيه المغترين ص ١١٦

محمد ﷺ أنهم خلّفوا بعدهم رجالاً فقلت « من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره » .

قد هيأوك لأمرٍ لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

قيام الربيع بن خيثم رحمه الله :

تلميذ عبد الله بن مسعود الذى كان يثنى عليه فيقول : « يا أبا يزيد ، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين »[1] .

● عن عبد الرحمن بن عجلان قال : بت عند الربيع بن خيثم ذات ليلة فقام يصلى ، فمرّ بهذه الآية « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » الآية فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد »[2] .

● وكان أصحابه يُعلمون شَعْره عند المساء ـ وكان ذا وفرة ـ ثم يصبح والعلامة كما هى ، فيعرفون أن الربيع لم يضع جنبه الليلة على فراشه[2] .

● وكانت أمه تناديه : يا بنى يا ربيع ألا تنام ، فيقول : يا أمه من جنّ عليه الليل وهو يخالف البيات حق له ألا ينام »[3] .

● وكانت ابنته تقول له : يا أبت مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام[3] ؟

فقال : إن النار لا تدع أباك أن ينام .

● واشترى رحمه الله فرساً بثلاثين ألفاً فغزا عليها ، ثم أرسل غلامه يسار يحتش وقام يصلى ، وربط فرسه ، فجاء الغلام فقال : يا ربيع أين فرسك ؟ قال : سُرِقت يا يسار . قال : وأنت تنظر إليها ؟ قال : نعم يا يسار إنى كنت أناجى ربى عز وجل فلم يشغلنى عن مناجاة ربى شىء ، اللهم إنه سرقنى ولم أكن لأسرقه ، اللهم إن كان غنياً فاهده ، وإن كان فقيراً فاغنه ، ثلاث مرات[4] .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٠٦ .
(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١١٢ .
(٣) حلية الأولياء ج ٢ ص ١١٤ ، مختصر قيام الليل ص ١٩ والزهد ص ٣٢٩ ، ٣٣٠
(٤) الزهد ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، مختصر قيام الليل ص ٢٧

يا لروعة الموقف : ويا حسن أخلاقك يا أبا يزيد حين تدعو لسارقك .. وأنّى للكلمات أن تصور رقة هذا الموقف ، ونعم تلميذ عبد الله بن مسعود أنت ، فقد ربّاك على سمعه وبصره ، وصُنعت على عينه .

قيام عروة بن الزبير بن العوام :

المجتهد المتعبد الصوّام رحمه الله :

- عن ابن شوذب قال : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم فى المصحف ويقوم به ليله .
- وقال سلمة بن محارب : وقعت فى رجل عروة الأكلة ولم يدع تلك الليلة ورده [٥] .

رحمك الله يا ابن حوارى رسول الله ﷺ وأحد فقهاء المدينة السبعة ، تقطع رجلك وأنت صائم فما يتضور وجهك ثم تقوم من ليلتك هذه !! لقد أتعبتم من لحلفكم ، وسبقتم والله على كل ضامر فسقى الله قبركم وجمعنا بكم فى مستقر رحمته .

قيام مطرف بن عبد الله :

عن ثابت قال : قال مطرف : إنى لأستلقى من الليل على فراشى فأتدبر القرآن ، وأعرض عملى على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ ، * **يبيتون لربهم سجداً وقياماً**﴾ ، ﴿**أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً**﴾ فلا أرانى فيهم ، فأعرض نفسى على هذه الآية ﴿**ما سلككم فى سقر**﴾ فأرى القوم مكذبين ، وأمر بهذه الآية ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**﴾ فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم [٢] .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧٨

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٩٨

قيام أبى الصهباء صلة بن أشيم العدوى :

كان فى الحنادس منتصباً ذاكراً

● قالت عنه زوجته العابدة المتهجدة معاذة : «ما كان صلة يجيء من مسجد بيته إلى فراشه إلاّ حَبْواً يقوم حتى يفتر فما يجيء إلى فراشه إلاّ حـبواً»[1] .

● وكان صلة يخرج إلى الجبّانة فكان يمر عليه شبان يلهون ويلعبون قال فيقول لهم أخبرونى عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق ، وباتوا الليل متى يقطعون سفرهم قال فكان كذلك يمر بهم فيعظهم ، قال فمرّ بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة فقال شاب منهم : يا قوم إنه والله ما يعنى بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام ، ثم اتبع صلة وتعبد معـه[2] .

● رحم الله قوماً أنت منهم أبا الصهباء فقد قال ثابت : «كان قوم من بنى عدى قد أدركنا بعضهم إن كان أحدهم ليصلى حتى ما يأتى فراشه إلا زحفاً ، وكان ابن الربيع العدوى يصلى حتى ما يأتى الفراش إلا زحفاً أو حبوًا ، وما كانوا يعدونه من أعـبـدهـم[3] .

● عن جعفر بن زيد قال : خرجنا فى غزاة إلى كابل وفى الجيش صلة بن أشيم ، قال : فترك الناس عند العتمة ـ ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت هدأت العيون ، وثب فدخل غيضة قريباً منه ، فدخلت فى أثره فتوضأ ثم قام يصلى فافتتح الصلاة ؟ قال وجاء أسد حتى دنا منه ، قال : فصعدت إلى شجرة ، قال : أفتراه التفت إليه أو وعذبه[4] حتى سجد ، فقلت : الآن يفترسه فلا شيء ، فجلس ثم سلم ، فقال : أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر ،

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٢٠٩ ومختصر قيام الليل ص ١٩ وأخرجه ابن سعد من طريق عفان بهذا الإسناد وهو صحيح أنظر تحقيق سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٩٧ صححه شعيب الأرناؤوط

(٢) الزهد ص ٢٠٨ والحلية ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) مختصر قيام ص ١٩

(٤) طرده أو منعه.

فولى وإن له لزئيراً أقول تصدعت منه الجبال ، فما زال كذلك يصلى حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار ، أومثـلى يجترىء أن يسألك الجنة ، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وقد أصبحت وبى من الفترة شىء الله تعالى به عليم[1] .

قيام محمد بن سيرين :

كان بالليل بكاءً نائحاً، وبالنهار بساما سائحا .

قالت أم عباد امرأة هشام بن حسان : كنا نزولاً مع محمد بن سيرين فى داره فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار[2] .

- قال محمد بن سيرين رحمه الله : لابد من قيام ولو قدر حلب شاه[3] .

قيام مسلم بن يسار :

ذكروا له قلة التفاته فى صلاته ، فقال : وما يدريكم أين قلبى ، وكان إذا دخل فى صلاته يقول لأهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم .

وكان يقول : « ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل ، وكان يدخل الكعبة فيصلى ركعتين بين العمودين المقدمين ويسجد ويبكى حتى يبل المرمر ويقول : اغفرلى ذنوبى وماقدمته يداى ، وكان يقول فى سجوده : متى ألقاك وأنت عنى راض[4] .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٤٠ وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف انظر تحقيق سير أعلام النبلاء ج ٣ ص٤٩٩

(٢) الحلية ج ٢ ص ٢٧٢

(٣) الزهد ص ٣٠٦

(٤) حلية الأولياء ج ٢ ص٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤

قيام معاوية بن قرة : البسام بالنهار البكاء فى الأسحار .

كان رحمه الله يقول : من يدلنى على رجل بكّاء بالليل بسّام بالنهار[1] .

● وحدّث أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلوا العشاء : يا بنى ناموا لعلّ الله أن يرزقكم من الليل خيراً .

قيام عمرو بن الأسود السكونى :

كان عمر بن الخطاب يقول : « من سرّه أن ينظر إلى هدى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود .

● كان رحمه الله من العبّاد الزهاد وكان له حلة بمائتى درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل[2] .

قيام الليل عند أبى محمد ثابت بن أسلم البنانى رحمه الله :

المتعبد الناحل والمتهجد الذابل .

قال أنس بن مالك « إن للخير مفاتيح ، وإن ثابتاً مفتاح من مفاتيح الخير » .

قال رحمه الله : لا يسمى عابد أبداً عابداً ، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان : الصوم والصلاة ، لأنهما من لحمه ودمه .

قالت ابنته : كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال فى دعائه : « اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينها فما كان الله ليرد ذلك الدعاء »[3] .

● وكان يصلى قائماً حتى يعيى ، فإذا أعيى جلس فيصلى وهو جالس .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢٩ ، الزهد ص ٢٨٩ ، مختصر قيام الليل ص ١٩

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٦

(٣) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٨

● وعنه : الصلاة خدمة الله فى الأرض ، لو علم الله عز وجل شيئاً أفضل من الصلاة لما قال : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ﴾ .

● وعن المبارك بن فضالة رحمة الله دخلت على ثابت البنانى فى مرضه ، فلما دخلنا عليه قال : يا إخوتاه لم أقدر أن أصلى البارحة كما كنت أصلى ، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابى فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم ، ثم قال : « اللهم إذا حبستنى عن ثلاث فلا تدعنى فى الدنيا ساعة : إذ حبستنى أن أصلى كما أريد ، وأصوم كما أريد ، وأذكرك كما أريد فلا تدعنى فيها ساعة .

● قال ثابت : كان رجل من العباد يقول : إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم فلا أنام الله عينىّ إذاً . قال جعفر : كنا نرى ثابتاً إنما يعنى نفسه [١] .

● وقال رحمه الله : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعّمتُ بها عشرين سنة [٢] .

وقال رحمه الله : لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلى فلا يأتى فراشه إلا زاحفاً [٣] .

وقال رحمه الله : « ما شىء أجده فى قلبى ألذ عندى من قيام الليل » .

وكان رحمه الله يقوم الليل فإذا أصبح يأخذ قدماه بيده فيعصرهما ثم يقول : « مضى العابدون وقُطِع بى ، والهفاه » [٤] .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢٠
(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢١
(٣) تنبيه المغترين ص ١١٥
(٤) صفة الصفوة

قيام قتادة بن دعامة :

الحافظ الرغَّاب ، الواعظ الرهّاب ، قتادة أبو الخطاب .

● قال أبو الخطاب قتادة رحمه الله : « ابن آدم : إن كنت لا تريد أن تأتى الخير إلاّ بنشاط ، فإن نفسك إلى السآمة وإلى الفترة وإلى الملل أميل ، ولكن المؤمن هو المتحامل ، والمؤمن المتقوى ، وإن المؤمنين هم العجّاجون إلى الله بالليل والنهار ، وما زال المؤمنون يقولون : ربّنا ربنا فى السر والعلانية حتى استجاب لهم »[1] .

● وقال رحمه الله : منع البر النوم ، وكانوا ينامون قبل الإسلام ، فلمّا جاء الإسلام أخذوا والله من نومهم وليلهم ونهارهم وأموالهم وأبدانهم ما تقربوا به إلى ربهم[2] .

● وكان يختم القرآن فى كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختمه فى كل ثلاث ليال مرة .

● فإذا جاء العشر ختم فى كل ليلة مرة .

● وقال رحمه الله فى قوله ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قال : « إن لله تعالى مقاماً هو قائمه ، وإن أهل الإيمان خافوا ذلك المقام ، فنصبوا ودأبوا الليل والنهار .

قيام محمد بن واسع : « زين القرّاء »[3] رحمه الله

كان رحمه الله من قرّاء الرحمن .

● قال أبو الطيب موسى بن بشار :

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٦
(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٨
(٣) سمّاه بهذا الحسن

« صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلى الليل أجمع فى المحمل جالساً يومىء برأسه إيماء ، وكان يأمر الحادى يكون خلفه ، ويرفع صوته حتى لا يفطن له ، وكان ربما عرس من الليل فينزل فيصلى ، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلاً رجلاً فيجىء إليه فيقول : الصلاة الصلاة[1] .

● وكان رحمه الله يبالغ فى إخفاء عمله ويقول : لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بلّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته[2] وكان رحمه الله يقول أيضاً : إن كان الرجل ليبكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به .

قيام العلاء بن زياد العدوى :

قال مالك بن دينار لهشام بن زياد : حدّثهم بحديث أخيك ، قال : نعم ، كان أخى العلاء بن زياد يحيى كل ليلة جمعة فجاء ذات ليلة فقال لامرأته أسماء : إنى أجد الليلة فتره فإذا مضى كذا وكذا من الليل فأيقظينى ، قال : فلما جاءت الساعة انتبه فزعاً ، فقال : إنه أتانى آت فأخذ بمقدم رأسى فقال : يا بنى زياد قم فاذكر الله عز وجل يذكرك . قال هشام : فوالله ما زلن تلك الشعرات قياماً فى مقدم وجهه ما صحب الدنيا وبعد موته ، ولقد غسلناه وإنهن القيام وماسكن[3] .

قيام مالك بن دينار « أبى يحيى الخائف الجآر » :

● قال المغيرة بن حبيب : تعاهدت مالكاً ذات ليلة فجئت ، وقد لبست وطيفة فى ليالى الشتاء قال : فطرحت نفسى على باب البيت ، قال فدخل مالك فاستقبل القبلة ، وأخذ بلحيته ، وجعل يقول : يارب إذا جمعت الأولين

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٤٦

(٢) الحلية ج ٢ ص ٣٤٧

(٣) الزهد ص ٢٥٥ ، إحياء كل ليلة جمعة معناه والله أعلم قيامها كلها مع قيام بقية الليالى أما تخصيص ليلة الجمعة بالقيام فهذا منهى عنه .

والآخرين فحرّم شيبة مالك على النار ، فما زال كذلك حتى طلع الفجر[١] .

● وكان يقول : لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون فى سائر الدنيا كلها : أيها الناس .. النار .. النار[٢] .

● وكان إذا قام فى محرابه يقول : يارب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار فأى الدارين دار مالك ثم يبكى .

قيام عبد الله بن غالب الحدانى « أبى قريش العابد » .

● كان من عباد البصرة ومن خيار الناس ، وكان رحمه الله يقول فى دعائه : « اللهم إنا نشكو إليك سفه أحلامنا ونقص علمنا واقتراب آجالنا وذهاب الصالحين منا »[٣] .

● قال رحمه الله : لقد ذهب الطاعون الجارف ببنىّ وما شبعت من حديثهم ، أما النهار فكما ترون وكان يصلى فيما بين الظهر والعصر وما بين المغرب والعشاء يسبح تسبيحاً كثيراً دائمًا - وأمّا اللّيل فأقول الحقوا بأمكم[٤] .

● ولقيه الحسن فقال له الحسن : لو رفقت ، فقال عبد الله ﴿ **كلاّ لا تطعه واسجد واقترب** ﴾ ثم خرّ فسجد ، وكان رحمه الله يقول : لهذا خلقنا وبهذا أمرنا[٥] .

● قال المغيرة بن حبيب : لما برز العدو قال عبد الله بن غالب : « على ما آسى من الدنيا فوالله ما فيها للبيب جذل ، ووالله لولا محبتى لمباشرة السهر بصفحة وجهى ، وافتراش الجبهة لك يا سيدى ، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس[٦]

---

(١) الزهد ص ٣٢٥ ، الحلية ج ٢ ص ٣٦١

(٢) الحلية ج ٢ ص ٣٦٩

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٤٧

(٤) الزهد ص ٢٤٨

(٥) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥

(٦) الكراديس : ملتقي كل عظمَين كبيرين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين.

فى ظلم الليالى رجاء ثوابك وحلول رضوانك لقد كنت متمنياً لفراق الدنيا وأهلها ، ثم كسر جفن سيفه ، وتقدم فقاتل حتى قتل ، فلما دفن أصابوا من قبره المسك ، وكان الناس يأخذون من تراب قبره كأنه المسك ، ورآه رجل فيما يرى النائم فقال يا أبا فراس ماذا صنعت ؟ قال خير الصنيع ، قال : إلى ماصرت ؟ قال إلى الجنة ، قال : بم ؟ قال : بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر ، قال : فما هذه الرائحة الطيبة التى توجد من قبرك ، قال تلك رائحة التلاوة والظمأ ، قال له أوصنى ، قال : اكسب لنفسك خيرًا لا تخرج عنك الليالى والأيام عطلاً فإنى رأيت الأبرار نالوا البرّ بالبر» .

وكان يصلى فى اليوم مائة ركعة[1] . أخفوا لله القيام فجعلهم الله سادة ونشر الله عملهم حتى نم التراب عنه .

قيام أيوب السختيانى :

سيد الفتيان ، وفتى العباد والرهبان ، السختيانى أيوب بن كيسان كان « سيد الفقهاء » كما يقول شعبة و « سيد الفتيان » كما يقول الحسن .

كان يقوم الليل كله فيخفى ذلك ، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة[2] .

ولكن كيف يخفى الليل بدرًا ساطعًا ؟ رحمك الله يا سختيانى .

قال ابنه : كان يجهر بالقرآن من الليل وكان يقوم بالسحر الأعلى .

لسان حالك يا أيوب يقول :

أسائل عمن لا أريد وإنما ... أريدكمُ مَن بينهم بسؤالى

فيعثر ما بين الكلام ورجعه ... لسانى بكم حتى ينم بحالى

وأطوى على ما تعلمون جوانحى ... وأظهر للعذال أنى سالى

---

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٢٩

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ٨

قيام سليمان بن طرخان :

قال عنه الذهبي (شيخ الإسلام) كان رحمه الله يقول : « إن العين إذا عوّدتها النوم اعتادت ، وإذا عوّدتها السهر اعتادت » .

وكان سليمان التيمى رحمه الله يقول لأهله : هلمّوا حتى نجزى الليل فإن شئتم كفيتكم أوله ، وإن شئتم كفيتكم آخره . وكان عنده زوجتان فكانوا يقتسمون الليل أثلاثاً وكان الناس يتعجبون من صبره على الصلاة ، وكان يقوم الليل كله إلا أوله ، وربما قام بالآية كلها حتى الصباح .

يقول عنه معمر مؤذنه : « صلى إلى جنبي سليمان التيمى بعد العشاء الآخرة ، وسمعته يقرأ ﴿ **تبارك الذى بيده الملك** ﴾ قال : فلما أتى على هذه الآية : ﴿ **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا** ﴾ [1] . جعل يرددها حتى خفّ أهل المسجد فانصرفوا ، قال : فخرجت وتركته ، قال : وغدوت لأذان الفجر فنظرت فإذا هو فى مقام ، قال : فسمعت فإذا هو فيها لم يجزها وهو يقول : ﴿ **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا** ﴾ [1]

ولما مات قالت جارية من جيرانه لأمها : يا أماه ما فعل المِشجب [2] الذى كان فوق السطح تظن أن سليمان كان المشجب [2]

عبد الله بن عون :

كان رحمه يقول : أحب لكم يا معشر إخوانى ثلاثة : هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار ، ولزوم الجماعة ، والكف عن أعراض المسلمين [3]

المنذر بن مالك أبو نضرة (مغيض الدموع والعبرة) :

كان رحمه الله يقول : يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية ﴿ **أفأمن أهل**

---

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٩

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨ ، والمشجب : عيدان تضم رؤوسها ويفرج بين قوائمها وتوضع عليها الثياب وقد تعلق عليها الأسقية لتبريد الماء « مجمع البحار » .

(٣) حلية الأولياء ج ٣ ص ٤١

القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون﴾ أن يرفع بها صوته .

• وكان يقول : من قرأ فى ليلة مائة آية إلى ألف آية أصبح وله قنطار من الثواب والقنطار ملء مسك ثور ذهباً[1] .

قيام حسان بن أبى سنان :

• قالت امرأة حسّان بن أبى سنان عنه : كان يجىء فيدخل فى فراشى ، ثم يخادعنى كما تخادع المرأة صبيها ، فإذا علم أنى نمت سل نفسه فخرج ، ثم يقوم فيصلى ، قالت : فقلت له يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك ؟ ارفق بنفسك ! فقال : اسكتى ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً »[2] .

وقيل له فى مرضه ما تشتهى ؟ قال : ليلة بعيدة ما بين الظرفين أُحيي ما بين طرفيها لسان حاله يقول : ـ

جرى حبه مجرى دمى فى مفاصلى فأصبح لى عن شغل به شغل
كأن سهاد الليل يعشق مهجتى فبينهما فى كل هجر لنا وصل[3]

قيام أبى همام شميط بن عجلان :

الـ امق الولهان .. الواعظ الولهان .

• ـن يصف المتقين فيقول : ـ

« أتاهم من الله أمر وقذهم عن الباطل ، فأسهروا العيون وأجاعوا البطون ، وأظمأوا الأكباد ، وأنصبوا الأبدان ، واهتضموا الطارف والتالد ، باتوا على تصون ، أتاهم وعيد الله فناموا على خوف[4]

• وكان يصف أبناء الدنيا فيقول : دائم البطنة ، قليل الفطنة ، إنما همه بطنه

---

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ٩٧
(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ١١٧
(٣) اللطف فى الوعظ ص ١٤
(٤) حلية الأولياء ١٢٦/٣

وفرجه وجلده يقول : متى أصبح فآكل وأشرب ، وألهو ، وألعب ، ومتى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطال بالنهار . ويحك ألهذا خلقت ، أم بهذا أمرت ، أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار .

وكان يقول : اللهم اجعل أحب ساعات الدنيا إلينا ساعات ذكرك وعبادتك ، واجعل أبغض ساعاتها إلينا ساعات أكلنا وشربنا ونومنا .

وكان يقول : إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن فى قلبه ولم يجعلها فى أعضائه ، أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك[1] .

قيام محمد بن المنكدر : « سيد القرّاء » :

كان محمد بن المنكدر ربما يقوم من الليل فيصلى ويقول : « كم من عين الآن ساهرة فى رزىء وكان له جار مبتلى فكان يرفع صوته من الليل يصيح ، وكان محمد يرفع صوته بالحمد فقيل له فى ذلك فقال : يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتى بالنعمة »[2] .

قيام صفوان بن سليم :

● قال عنه مالك بن أنس : « كان صفوان يصلى فى الشتاء فى السطح ، وفى الصيف فى بطن البيت ، يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ، ثم يقول : هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم ، وإنه لترم رجلاه حتى تعود مثل السفط من قيام الليل ويظهر فيها عروق خضر[3] وكان يصلى فى قميص لئلا ينام » . رحمه الله لو قيل له غداً القيامة ، ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة ، وتعقدت

---

(١) حلية الأولياء ٣/١٣٠

(٢) حلية الأولياء ٣/١٤٧

(٣) حلية الأولياء ٣/١٥٩

ساقاه من طول القيام[1] .

أبو حازم رحمه الله :

● كان رحمه الله يقول : لقد أدركنا أقواماً كانوا فى العبادة على حد لا يقبل الزيادة[2] وكان يقول : كنت ترى حامل القرآن فى خمسين رجلاً فتعرفه قد مصعه[3] القرآن وأدركت القراء الذين هم القرّآء ، أما اليوم فليسوا بقرّاء ، ولكنهم خرّاء .

قيام أبي حمزة محمد بن كعب القرظى :

كانت أمه تقول له : يا بنى لولا أنى أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيّباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك فى الليل والنهار .

قال يا أماه : « وما يؤمننى أن يكون الله قد اطلّع علىّ وأنا فى بعض ذنوبى فمقتنى فقال اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تورد علىّ أموراً حتى إنه لينقضى الليل ولم أفرغ من حاجتى .

● وكان رحمه الله يقول : « لأن أقرأ فى ليلةحتى أصبح ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ والقارعة ، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر ، أحب إلىّ من أهذر القرآن هدراً أو أنثره نثراً[4] .

قيام عمرو بن دينار : أبو محمد المتعبّد المتهجد :

قسّم عمرو بن دينار الليل ثلاثاً : ثلثاً ينام ، وثلثاً يتحدث ، وثلثاً يصلى[5]

---

(١) ، (٢)تنبيه المغتربين ص ١١٦ .

(٢) يريد به هنا الهزال

(٣) حلية الأولياء ٢١٤/٣ ، ٢١٥

(٤) حلية الأولياء ٣٤٨/٣ .

قيام يزيد بن أبان الرقاشى

كان رحمه الله يقول : إذا أنا نمت فاستيقظت ثم عدت فى النوم فلا أنام الله عينى [1] .

● وقال رحمه الله : « بطول التهجد تقرعيون العابدين ، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله » [2] .

قيام عمر بن المنكدر :

قالت له أمه : إنى لأشتهى أن أراك نائماً ، فقال : يا أمّه ، والله إن الليل ليرد علىّ فيهولنى فينقضى عنى وما قضيت منه أربى [3] .

لسان حاله يقول :« ذُقِ الهوى وإن استطعت الملام لِمُ » .

قيام منصور بن زاذان : زين القرآء والفتيان ، الميسر له تلاوة القرآن :

كان يصلى الليل كله . وقالت أم ولده : كان يقوم هذا الليل فلا يضع جنبه ، وما كان يأتينى إلا كما يأتى العصفور ، ثم يغتسل ثم يعود إلى مصلاة فلا ينام هذا الليل [4] .

● وكان رحمه الله لا يبيت كل ليلة حتى تبل عمامته بدموعه ، ثم يضعها كما قال عنه الحسن [5] .

● وقالوا عنه : أنه كان يختم القرآن فى كل يوم وليلة [6] .

قيام زين العابدين على بن الحسين : السجّاد ذى الثفنات

كانت لركبتيه ثفنات كثفنات البعير من كثرة صلاته ، وكان يقطعها فى العام

---

(١) مختصر قيام الليل ص ١٩
(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨
(٣) مختصر قيام الليل ص ١٩
(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٨
(٥) الزهد ص ٢٢٤
(٦) الحلية ٥٨/٣

مرتين وكان إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته اخذته رعده ونفضة .

● فقيل له فى ذلك : فقال : ويحكم أتدرون إلى مَنْ أقومْ ؟ ومن أريد أنْ أناجى !

وكان يسمى زين العابدين لعبادته . قال مالك : « لقد بلغنى أنه كان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات »[1] .وكان أناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم ؟ فلمّا مات علىّ بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به فى الليل ، ولما مات وجدوا بظهره آثاراً ممّا كان يحمل بالليل جرُب الدقيق إلى المساكين[1]

رحمك الله يا زين العابدين يتهمونك بالبخل وأنت تخفى الصدقات وتحملها إلى البيوت ليلاً حتى تؤثر جرب الدقيق فى ظهرك . قرنت التهجد بالصدقات .

يقول عنه الفرزدق :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل مَنْ خير أهل الأرض : قيل همُ

قيام طاووس بن كيسان :

– كان رحمه الله يفرش فراشه ثم يضطجع عليه يتقلى كما تتقلى الحبة فى المقلاة ، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول : طيرّ ذكر جهنمَ نوم العابدين[3] .

● وكان يقول : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح وقد كتب له مائة

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧

(٢) حلية الأولياء ١٣٧/٣

(٣) مختصر قيام الليل ص ٢٩

حسنة أو أكثر من ذلك[1] .

– وحبس الناس الأسد ليلة فى طريق الحج فدقّ الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم ، فنزل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم فناموا ، وقام طاوس يصلى فقال رجل لطاوس : فإنك قد نصبت منذ الليل ، فقال طاوس : ومنْ ينامُ فى السحر[2] .

قيام عمرو بن عتبة بن فرقد :

• كان رحمه الله يخرج على فرسه ليلاً فيقف على القبور فيقول : يا أهل القبور لقد طويت الصحف ، لقد رفعت الأعمال [لا تستعتبون من سيئة ، ولا تستزيدون من حسنة][3] ، ثم يبكى ، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح[4] .

• وكان يقول لأبيه : يا أبت إنما أنا عبد أعمل فى فكاك رقبتى فدعنى أعمل فى فكاك رقبتى[5] .

• وكان يخرج إلى العدو مع الناس فلا يتحارس الناس لكثرة صلاة عمرو ، ورأوه ليلة يصلى فسمعوا زئير الأسد فهربوا وهو قائم يصلى فلم ينصرف ، فقالوا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : إنى لأستحى من الله أن أخاف شيئاً سواه[6] .

• لما مات عمرو دخل بعض أصحابه على أخته فقال : أخبرينا عنه ، فقالت : قام ليلة فاستفتح (حمٓ) فأتى على هذه الآية ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة** ﴾ فما جاوزها حتى أصبح[7] .

---

(١) حلية الأولياء ٦/٤

(٢) الزهد لابن حنبل ص ٣٧٧

(٣) مختصر قيام الليل

(٤) الزهد ص ٣٥٣

(٥) حلية الأولياء ١٥٦/٤ ، ١٥٧

(٦) حلية الأولياء ١٥٦/٤ ، ١٥٧

(٩) صفة الصفوة ٧٢/٣

قيام محمد بن عمرو بن عتبة بن فرقد :

عن سلمة بن علقمة عن محمد بن عمرو أنه أراداه أبواه أن يزوجاه فأبى ، فاستعانا عليه بعثمان بن عفان رضى الله عنه فقال له عثمان : ما لك لا تتزوج ؟ فقد تزوج النبي ﷺ وتزوج أبو بكر وتزوج عمر وتزوجت أنا ، فقال : ومنْ لى بمثل أعمالكم ، فقال عثمان : سبحان الله سبحان الله وأعرض بوجهه وستره بيده صُنع الرجل الذى إذا رأى شيئاً كرهه ـ وصف صنع عثمان رضى الله عنه ـ فلما أكثروا عليه قال فإنى أتزوج ، فخطب ابنة جرير ، فقال : إنى لا أتزوج امرأة حتى أكلمها ، قالوا نعم ، قال أبو الحسن يعنى مثنى ، فجاءوا بابنة جرير ، فقال لها : إنه لا حاجة لى فى النساء ، وإنّ أبواى قد أبيا علىّ إلا أن يزوجانى ، ولك عندهم من الطعام والكسوة ما تريدين ، قالت : قد رضيت ، قال : فلما أتوه بها قام يصلى من الليل ، وقامت تصلى خلفه حتى أصبح ، وأصبح صائماً ، وأصبحت صائمة ، قال قال عمرو : فإن كنت لأفتر فيمنعنى مكانها ، فقال له أبواه : إنا إنما زوّجْناك نريد ولدك ، ولا نرى هذه تلدُ فطلِّقْهَا ، فطلقها ثم خطب عليه امرأة أخرى فقال لا أتزوج امرأة حتى أكلمها فأتياه بها فقال لها مثل ما قال لابنة جرير ، ثم فترت فكان يوماً مضطجعاً يرى أنه نائم ، فقالت لها امرأة من أهلها : يا فلانة ما لك لا تلدين أعجزت ؟ قالت : أوتلد المرأة من غير بعل ؟ فلما سمع بذلك طلقها وتركه أبواه (١) .

قيام معضد أبى يزيد العجلى :

المتعبِّد المتهجِّد ، الشاهد المتشهِّد ، أبو يزيد العجلى معضد قال رحمه الله : لولا ثلاث : ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً (٢) .

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٣٥٤ . خير الهدى هدى محمد ﷺ فللزوجه حق يعلم .

(٢) ذكر النحل .

وكان يقول فى سجوده : « اللهم أشفنى من النوم بـاليسير »[1] .

قيام أبى إسماعيل مرة بن شراحيل : مُرّة الطيّب

المدمن للتعبد المواظب على التهجد الذى سمى « بالطيّب » كما يقول ـ يحي ابن معين ـ لعبادته .

كانت مباركه كأنها مبارك الإبل وكنت ترى أثر السجود فى جبهته وكفّيه وركبتيه وقدميه[2] .

قيام همّام بن الحارث النخعى : المتعبد القوام ، المتلذذ بالسهر ، للذكر همام :

كان يصبح مترجلاً فقال بعض القوم : إنّ جمة همّام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليل وكان رحمه الله صاحب صلاة .

وكان رحمه الله يدعو ويقول : « اللهم اشفنى من النوم باليسير ، وارزقنى سهراً فى طاعتك » فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد[3] .

قيام أبى مريم زر بن حبيش :

قال عاصم : أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً منهم زر بن حبيش[4] .

قيام أبى عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب :

● **قال شمر : أخذ بيدى أبو عبد الرحمن السلمى ، فقال : كيف قوتك فى الصلاة ؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره ، قال أبو عبد الرحمن : كنت أنا مثلك أصلى العشاء ثم أقوم أصلى ، فإذا أنا حين أصلى الفجر أنشط منى أول مابدأت[5] .**

---

(١) حلية الأولياء ١٥٩/٤

(٢) حلية الأولياء ١٦٢/٤

(٣) حلية الأولياء ١٧٨/٤

(٤) حلية الأولياء ١٨٤/٤

(٥) حلية الأولياء ١٩٢/٤ ، الزهد ٣٦٦

قيام عون بن عبدالله بن عتبة :

كان يقول فى بكائه « ويحى ! أزعم أن خطيئتى قد أقرحت قلبى ، ولا يتجافى جنبى ، ولا تدمع عينى ولا تسهر ليلى ! ويحى.هل ينام على مثلها مثلى ، ويحى ! لقد خشيت أن لا يكون هذا الصدق منى !

● وعن عون بن عبد الله : إن الله ليدخل الجنة قوماً فيعطيهم حتى يملّوا ، وفوقهم ناس فى الدرجات العلى ، فلما نظروا إليهم عرفوهم ، فيقولون : يا ربنا إخواننا كنا معهم ، فبم فضلتهم علينا ؟ فيقول : هيهات هيهات ! إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون ، ويظمأون حين تروون ، ويقومون حين تنامون ، ويشخصون حين تخفضون[1] .

قيام أبى عبد الله سعيد بن جبير : الفقيه البكّاء :

● قال يحيى بن عبد الرحمن : سمعت سعيد بن جبير يردّد هذه الآية : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ حتى يصبح .

● وقرأ رحمه الله القرآن فى ركعة فى الكعبة .

● قال خصيف : رأيت سعيد بن جبير يصلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح فصليت إلى جنبه وسألته عن آية فلم يجبنى ، فلما صلىّ الصبح قال : إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلى الصبح[2] .

● وكان له رحمه الله ديك يقوم إلى الصلاة إذا صاح ، فلم يصح ليلة من الليالى فأصبح سعيد ولم يصل ، قال : فشق ذلك عليه ، فقال له : ما له ؟ قطع الله صوته ، قال : فما سمع ذلك الديك يصيح بعدها ، فقالت له أمه : أىْ بنى لا تدْع على شىء بعدها .

---

(١) حلية الأولياء ٢٤٧/٤ ، ٢٥٥ ، مختصر قيام الليل ص ٢٤

(٢) صفة الصفوة ٧٨/٣ ، ٧٩

قيام أبي عبد الرحمن زبيد بن الحارث الأيامي :

لو رأيت وجهه رحمه الله لعلمت أن وجهه قد أخلقه طول القيام وسهر الليل . هذا الرجل المبارك الذى قال عنه سعيد بن جبير وهو مَنْ هُوَ : لو اخترت عبداً لله أكون فى مسلاخه لاخترت زبيد الأيامى .

وكان رحمه الله يقسّم الليل بينه وبين أبنيه ثلاثاً ، ويبدأ فيقوم ثلثه ، فإذا وجد من أحدهما أو منهما كسلاً قال : نم يا بنى فأنا أقوم عنك فيقوم ليلته حتى يصبح[1]

قيام منصور بن المعتمر : : حليف الصيام والقيام ، خفيف التطعم والمنام :

- يقول عنه أبو بكر بن عياش : رحم الله منصوراً كان صوّاماً قوّاماً .

كان رحمه الله يصلى فى سطحه فلما مات قال غلام لأمه : يا أمه الجذع الذى كان فى سطح آل فلان ليس أراه [يعنى آل منصور] .

قالت : يا بنى ليس ذلك جذعاً ، ذاك منصور قد مات . وفى رواية : أنه قدم على ربه عز وجل .

- وكانت أمه تقول له : إن لعينيك عليك حقاً ، ولجسمك عليك حقاً ، فكان يقول لها : دعى عنك منصور فإن بين النفختين نوماً طويلاً .

فإذا كان الصبح كحل عينيه ، ودهن رأسه ، وفرق شفتيه وخرج للناس[2] .

- وكان رحمه الله يصلى العتمة ثم يحوّل نعليه عن مقامه فيفتح الصلاة فيجىء القوم غدوة فإذا هو فى مكانه[3] .

---

(١) حلية الأولياء ٣٢/٥

(٢) حلية الأولياء ٤٠/٥ ، ٤١

(٣) مختصر قيام الليل ٢٨

• كانت جارة لمنصور بن المعتمر لها ابنتان لا تصعدان السطح إلاّ بعدما ينام الناس ، فقالت إحداهما ذات ليلة : يا أمّاه ، ما فعلت القائمة التي كنت أراها في سطح بني فلان ؟ فقالت : يا بنية لم تكن تلك قائمة ، إنما كان منصور يحيي الليل كله في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع .

• قال أبو الأحوص : إن منصور بن المعتمر كان إذا جاء الليل اتّزر وارتدى إن كان صيفاً ، وإن كان شتاء التحف فوق ثيابه ثم قام إلى محرابه كأنه خشبة منصوبة حتى يصبح .

• وقال زائدة بن قدامة : كان منصور بن المعتمر ، إذا رأيته قلت : رجل قد أصيب بمصيبة منكّس الطرف ، منخفض الصوت ، رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع(١) ، ولقد قالت له أمه يوماً : ماهذا الذى تصنع بنفسك ؟ تبكي عامّة الليل لا تكاد تسكت . لعلك يا بنى أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً . قال : فيقول : يا أماه أنا أعلم ما صنعت بنفسى .

• وقال سفيان : كان يقولون فى ذلك الزمان : إن أطول أهل الكوفة تهجداً طلحة وزبيد وعبد الجبار بن وائل . قال الحميدى : فقلت : فمنصور ؟ قال : نعم إنما كان الليل عنده مطية من المطايا متى شئت أصبته قد ارتحله ، وقال الثورى : لو رأيت منصوراً يصلّى لقلت يموت الساعة .

• وقال تميم بن مالك : كان منصور إذا صلّى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم ، ولعله إنما بات قائماً على أطرافه ، كل ذلك ليخفى عليهم العمل .

• وقال سفيان : إن منصوراً صام ستين سنة . يقوم ليلها ويصوم نهارها .

• قال عطاء بن جبلة : سألوا أم منصور بن المعتمر عن عمله ، فقالت : كان

---

(١) أى لكثرة دموعه تفيض عيناه كأنها أربع عيون

ثلث الليل يقرأ ، وثلثه يبكى ، وثلثه يدعو[1] .

قيام أبى حيان بن سعيد التيمى :

قال عبد الله بن إدريس : ما رأيت الليل على أحد من الناس أخفّ منه على أبى حيان التيمى ، صحبناه مرة إلى مكة ، فكان إذا أظلم الليل فكأنه مثل هذه الزنابير إذا هِيجت من عشها[2] .

قيام الواعظ البر : أبى ذر عمر بن ذر :

كان رحمه الله إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال : جاء الليل ، للليل مهابة ، والله أحق أن يهاب[3] .

وانظر إليه رحمه الله كيف يستمطر الدمع حين يقول له ابنه ذر : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكى أحداً فإذا تكلمت يا أبت سمعت البكاء من ها هنا وها هنا ؟

قال : يا بنى ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى .

- **مكحول :**

كان مكحول إمام أهل الشام يقول : « من أحيا ليلة فى ذكر الله أصبح كيوم ولدته أمه[4] .

- **عبد الرحمن بن أبى نُعُمْ :**

كما يقول الشعبى كان يواصل حتى يعوده أصحابه ، وبلغ ذلك الحجاج فحبسه خمسة عشر يوماً فى بيت ، ثم فتح عنه فوجده قائماً يصلى فقال اذهب فأنت راهب العرب[5] .

---

(١) صفة الصفوة ١١٣/٣ - ١١٥

(٢) صفة الصفوة ١١٩/٣

(٣) مختصر قيام الليل ١١١/٥

(٤) حلية الأولياء ١٨٠/٥ .

(٥) مختصر قيام الليل ص ٢٧

قيام الليل عند عطاء بن ميسرة « أبو عثمان » الخراسانى :

● قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : «كنا فى غزاة وكان عطاء الخراسانى يحيي الليل صلاة ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه أقبل علينا ونحن فى فسطاطنا فنادى : قوموا فتوضؤا ، وصلُّوا صيام هذا النهار بقيام هذا الليل فهو أيسر من مقطعات الحديد وشراب الصديد ، الوحاء[1] الوحاء ثم النجاء النجاء ثم يقبل على صلاته .

● وكان رحمه الله يحيي الليل من أوله إلى آخره إلا نومه السحر .

● وقال رحمه الله : «كان يقال : قيام الليل محياة البدن ، ونور فى القلب ، وضياء فى البصر وقوة فى الجوارح ، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أصبح فرحاً يجد لذلك فرحاً فى قلبه ، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه أصبح حزينًا منكسر القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً[2] .

قيام بلال بن سعد :

قال رحمه الله : « أدركتهم يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهباناً[3] . وكان رحمه الله يقوم الليل فإذا نعس فى الشتاء ألقى بنفسه فى الماء البارد ولما عاتبوه قال : إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم[4] .

قيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

ذى الشجن والأزيز ، نجيب بنى أمية .

---

(١) أى السرعة انظر الزهد لابن حنبل ص ٣٨٢ ، مختصر قيام الليل ص ١٩ ، حلية الأولياء ١٩٣/٥

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٧

(٣) حلية الأولياء ٢٢٤/٥ ، مختصر قيام الليل ص ١٩

(٤) البداية والنهاية ٣٤٨/٩

● قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك للمغيرة بن حكيم : « يا مغيرة إني أعلم أنه قد يكون من الناس من هو أكثر صلاة وصوماً من عمر ، فإما أن أكون رأيت رجلاً أشد فرقاً من ربه عز وجل من عمر فإني لم أره ، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى نفسه فى مسجده فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه ثم ينتبه فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه فهو كذلك حتى يصبح[1] .

● وكانت له ـ رحمه الله ـ درّاعة من شعر ، وغل ، وكان له بيت فى جوف بيت يصلى فيه لا يدخل فيه أحد ، فإذا كان فى آخر الليل فتح ذلك السفط ولبس تلك الدرّاعة ، ووضع الغل فى عنقه ، فلا يزال يناجى ربه ويبكى حتى يطلع الفجر[2] .

● وكان رحمه الله يتمثل بهذه الابيات :

أيقظان أنت اليوم أمْ أنت نائمُ ... وكيف يطيق النوم حيران هائمُ
فلو كنت يقظان الغداة لحرَّقت ... محاجر عينيك الدموع السَّوَاجمُ
بل أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت ... إليك أمور مفظعات عظائم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نُوم ، والردى لك لازم
يغرّك ما يبلى ، وتشغل بالهوى ... كما عزّ باللذات فى النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم[3]

رحمك الله يا أبا عبد الملك .. يا حليف السهر .. والله ما أبعد جرير حين نعاك فقال فى عجز بيت له : « تبكى عليك نجوم الليل والقمرا »[4] .

● عن عطاء قال : دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها : يا بنت عبد الملك أخبرينى عن أمير المؤمنين ، قالت : أفعل ،

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٢٩٩ ، الحلية ٥/٢٦٠

(٢) حلية الأولياء ٥/٢٩١

(٣) حلية الأولياء ٥/٣١٩ ، ٣٢٠

(٤) الحلية ٣٢٠/٣٢١

ولو كان حياً ما فعلت ، إن عمر رحمه الله كان قد فرّغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه وصله بليلته إلى أن أمسى مساء وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذى كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى [١] ، واضعاً رأسه بين يديه ، تسيل دموعه على خده ، يشهق الشهقة ، وأقول : قد خرجت روحه أو انصدعت كبده فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح ثم أصبح صائماً [٢]

● بكت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز ـ حتى عشى بصرها ، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام إبنا عبد الملك فقالا : ما هذا الأمر الذى قدمت عليه ؟ أجزعك على بعلك ؟ فأحق من جزع على مثله ، أم على شيء فاتك من الدنيا ؟ فها نحن بين يديك ، وأموالنا وأهلونا فقالت : ما من كُلٍّ جزعت ، ولا على واحدة منها أسفت ، ولكنى والله رأيت منه ليلة منظراً فعلمت أن الذى أخرجه إلى ذلك ، الذى رأيت من هول عظيم ، قد أسكن قلبه معرفته . قالا : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيته ذات ليلة قائماً يصلى ، فأتى على هذه الآية ﴿ **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ ، فصاح ، « واسوء صباحاه » ثم وثب فسقط فجعل يخور منى فظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هدا ، فظننت أنه قد قضى ، ثم أفاق إفاقة فنادى : « يا سوء صباحاه » ثم وثب فجعل يجول فى الدار ويقول : « ويلى من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » ، قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت حتى أتاه الأذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتنى عيناى فلم أملك رد عبرتى [٣]

---

(١) أقعى أى تساند إلى ما وراءه

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٢٢٣ تحقيق نعيم رزرزور ـ دار الكتب العلمية ببيروت

(٣) سيرة ومناقب عمر بن العزيز لابن الجوزى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

• قرأ رحمه الله ليلة فى صلاته سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾ فلما بلغ قوله : ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ بكى فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثاً ، ثم قرأ سورة أخرى غيرها [١].

• وكان رحمه الله يقول :

إنما الناس ظاعن ومقيم ... فالذى بان للمقيم عظة
ومن الناس من يعيش شقياً ... جيفة الليل غافل اليقظة
فإذا كان ذا حياء ودين ... راقب الموت واتقى الحفظة [٢]

ولقد راقبت الموت سيدى فأسهرت ليلك يا أشج بنى أمية ويا حفيد فاروق الإسلام . وكفتك خصالك الطيبة وأريجها الفوّاح النورانى المخبر :

• لمّا مات رحمه الله كان استودع مولى له سفطاً يكون عنده فجاءوه فقالوا : السفط الذى كان استودعك عمر . فقال : ما لكم فيه خير ، فأبَوْا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك فدعا بالسفط ودعا بنى أمية وقال : حبركم هذا قد وجدنا له سفطاً ووديعة قد استودعها . فدعا به فجاؤا به ففتحوه ، فإذا فيه مقطعات كان يلبسها بالليل [٣].

تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبت بماء فعادت بعدُ أبوالا

قيام أبى عثمان النهدى :

يصفه ابن كثير فيقول : كان صواماً قوّاماً يسرد الصوم ، ويقوم الليل لا يتركه ، وكان يصلى حتى يغشى عليه [٤].

---

(١) التخويف من النار لابن رجب ص ٧٩
(٢) الحلية ٥/٣٨٣
(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز
(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ٩ ص ١٩٠ وانظر الزهاد الأوائل للدكتور محمد مصطفى حلمى ص ١٠٤

قيام عبد الله بن محيريز :

قال عنه الأوزاعي : « من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فإنّ الله لا يضل أمة فيها مثله »[1] .

● وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه.

واشتهر بعبادته بين أهل الشام حتى وصفه أحدهم بأنه « إنْ يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فإنا نفخر عليهم بعابدنا عبد الله بن محيريز »[2] .

أبو اسحاق كعب الأحبار : صاحب الكتب والأسفار :

قال رحمه الله : « من تعبد لله ليلة حيث لا يراه أحد يعرفه خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته[3] .

قيام عتبة الغلام ·

كان رحمه الله إذا توضأ من الليل قبل أن ينتصب للصلاة قال : « اللهم إنى قد حملت نفسى ما لا أطيق من المعاصى والقبائح حتى استحقيت الخسف والمسخ ودخول النار ، وها أنا أريد أن أقف بين يديك خلف كل عارض على وجه الأرض رجاء أن تغفر لأحد منهم فيصيبنى شىء من المغفرة »[4] .

● وجعل ـ رحمه الله ـ لله على نفسه ألا ينام من الليل من الليل والنهار إلا أقل من نبهه ، فقال له بعض أصحابه : لا تنم يا عتبة بالليل ونم بالنهار فى الساعات اللاتى لا تحل فيها الصلاة فهذا أقل من نبهك ووفاء لنذرك . فقال : أنا إذا أريد أن أطلب الحيل فيما بينى وبين ربى ، لا أنام ليلاً أو نهاراً إلا وأنا مغلوب ، فكنت إذا رأيته رأيته شبه الواله ، وما ظنك برجل لا ينام إلا مغلوباً[5] .

---

(١) الزهاد الأوائل ص ١٢٥ .

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨٥ ، الزهاد الأوائل ص ١٢٦ ، ١٢٧

(٣) الحلية ٣٨٣/٥

(٤) تنبيه المغترين

(٥) حلية الأولياء ٢٣٢/٦

• وكانت أمه تقول له : لو رفقت بنفسك يا ولدى ؟ فيقول لها : دعينى يا أماه أتعب فى عمر قصير ليوم طويل[1] .

• وكان رحمه الله يقطع الليل بثلاث صيحات : ولما سألوا جعفر الصادق عن ذلك ، قال : « لا تنظروا إلى صياحه وانظروا إلى ما صاح منه » أو « لا تنظر إلى صيحته ولكن انظر إلى الأمر الذى كان منه بين الصيحتين »[2] .

• وكان يستقبل القبلة فلا يزال فى فكر وبكاء حتى يصبح .

• قال رياح القيسى : بات عندى عتبة الغلام فسمعته يقول فى سجوده : اللهم احشر عتبة بين حواصل الطير وبطون السباع .

رحمك الله يا عتبة فلأنت من رهبان الليل وفرسان النهار ولقد أكرمك الله بصدقك وتهجدك فنلت ما تتمنى .. نلت الشهادة .

رحمك الله يا عتبة لكأنما ربتك الأنبياء كما يقول مخلد بن الحسين .

قيام المغيرة بن حكيم الصنعانى .

كان المغيرة بن حكيم الصنعانى يحج من اليمن ماشياً ، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن فيقف فيصلى حتى يفرغ من ورده ثم يلحق بالركب متى لحق فربما لم يلحقهم إلا فى آخر النهار .

سلام الله على تلك الأرواح رحمة الله على تلك الأشباح ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل

نزلوا بمكة فى قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل[3]

قيام خليفة العبدى رحمه الله :

كان رحمه الله يقوم إذا هدأت العيون فيقول : اللهم إليك قمت أبتغى

---

(١) تنبيه المغترين ص ١١٥

(٢) الحلية ٥/٢٣٤ ، تنبيه المغترين ص ١١٦

(٣) لطائف المعارف

ما عندك من الخيرات ، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ، وكان يدعو فى سجوده فيقول :

« اللهم هب لى إنابة إخبات ، وإخبات منيب ، وزيّنى فى خلقك بطاعتك ، وحسّنى لديك بخدمتك ، وأكرمنى إذا وفد إليك المتقون ، فأنت خير مقصود وخير معبود وخير محمود وخير مشكور[1]

قيام عبد العزيز بن سلمان رحمه الله :

كانت رابعة رحمها الله تسميه « سيد العابدين » .

وقيل له ما بقى مما تلذ به ؟ قال : سرداب أخلو به فيه[2] .

● وكان رحمه الله يقول : ما للعابدين وما للنوم ! ! لا نوم والله فى دار الدنيا إلا نوم غالب .

● يقول عنه ابنه محمد : كان أبى إذا قام من الليل ليتهجد سمعت فى الدار جلبة شديدة ، واستقاء للماء الكثير ، قال : فنرى أن الجنّ كانوا يستيقظون للتهجد فيصلون معه[3] .

قيام هشام الدستوائى :

● كان شعبة يقول عنه : ما أقول لكم إن أحداً طلب الحديث يريد وجه الله تعالى إلا هشام الدستوائى .

● كان رحمه الله يقول « إن لله عباداً يدفعون النوم مخافة أن يموتوا فى منامهم »[4] .

● وكان رحمه الله لا يطفى سراجه بالليل فقالت له امرأته : « إن هذا السراج

---

(١) حلية الأولياء ٦/٣٠٣ ، ٣٠٤

(٢) حلية الأولياء ٦/٢٤٥

(٣) حلية الأولياء ٦/٢٤٥

(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٩

يضرّ بنا إلى الصباح فقال : ويحك إنك إذا أطفيتيه ذكرت ظلمة القبر فلم أتقار »[1] .

قيام عبد الواحد بن زيد : « المتفلت من القيد ، المتصيِّد للصيد » :

● كان رحمه الله يقول لأهله : يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود[2] .

● وقال عنه حصين بن القاسم : لو قسّم بث عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم ، فإذا أقبل سواد الليل نظرت إليه كأنه فرس رهان مضمر ثم يقوم إلى محرابه فكأنه رجل مخاطب .

● وكان رحمه الله كثيراً ما يردد :

ينام من شاء على غفلة والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الأعمال فيه كما تنقطع الدنيا عن المنتقل

● وكان رحمه الله يبكى ويقول :

فرّق النوم بين المصلين وبين لذّتهم فى الصلاة[3] .

وكان رحمه الله يقول : « وعزتك لا أعلم لمحبتك فرحاً دون لقائك ، والاشتفاء من النظر إلى جلال وجهك فى دار كرامتك ، فيا منْ أحلّ الصادقين دار الكرامة ، وأورث البطالين منازل الندامة ، اجعلنى ومن حضرنى من أفضل أوليائك زلفاً ، وأعظمهم منزلة وقربة ، تفضلاً منك علىّ وعلى إخوانى يوم تجزى الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية متدلية عليهم ثمرها »[3] .

قيام الأوزاعى : شيخ الإسلام أبى عمرو :

رحمك الله أبا عمرو يا من تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبك فى نفسك .

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٧
(٢) تنبيه المغترين ص ٣٥
(٣) حلية الأولياء ١٥٥/٦

قال أبو مسهر : «كان الأوزاعى يحيى الليل صلاة وقرآناً وبكاء»[1]

ورُوى عنه رحمه الله أنه حجّ فما نام على الراحلة ، إنما هو فى صلاة ، فإذا نعس استند إلى القتب[2] .

ودخلت امرأة كانت لها صلة بزوج الأوزاعى فنظرت فوجدت بللاً فى مسجده فى موضع سجوده فقالت لها : ثكلتك أمك أراك غفلت عن بعض الصبيان حتى بال فى مسجد الشيخ فقالت لها : ويحك هذا يُصبح كل ليلة من أثر دموع الشيخ فى سجوده[3] .

● وكان رحمه الله يقول : من أطال القيام فى صلاة الليل هوّن الله عليه طول القيام يوم القيامة ـ أخذ ذلك من قوله تعالى ـ ﴿ **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً** ﴾ ﴿ **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً** ﴾[4]

قيام زياد بن عبد الله النميرى :

قال زياد رحمه الله : أتانى آت فى منامى فقال : قم يا زياد إلى عبادتك من التهجد ، وحظك من قيام الليل ، فهو والله خير لك من نومة توهن بدنك ، وينكسر لها قلبك ، قال فاستيقظت مرعوباً ، ثم عادنى والله النوم فأتانى ذلك ـ أو غيره ـ فقال : « قم يا زياد فلا خير فى الدنيا إلا للعابدين » فوثبت فزعاً[5] .

كهمس الدعاء :

كان يقوم بالليل ويكثر من القيام ، فإذا مل قال لنفسه : قومى يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة قط[6] .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ١/١٧٩ طبعة دار الفكر العربى
(٢) البداية والنهاية ١٠/١١٧
(٣) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١/٢١٨ ، البداية والنهاية ١٠/١١٧
(٤) البداية والنهاية ١٠/١١٧
(٥) الحلية
(٦) الحلية

رحمه الله يصلى ثم يستغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه .. إذا كان هذا حال المحسنين فى عباداتهم فكيف حال المسيئين مثلنا فى عباداتهم ارحموا من حسناتهم كلها سيئات وطاعاته غفلات .

قيام الليل عند الإمام أبى حنيفة رحمه الله :.

- قال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته .
- وقال سفيان بن عيينة : ما قدم مكة رجل فى وقتنا أكثر صلاة من أبى حنيفة .
- وكان رحمه الله يحيى الليل ويبكى حتى يرحمه جيرانه .
- وتواترت الأخبار عنه أنه كان يحيى الليل كله حتى قال مغسله بعد الفراغ من غسله : لقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء .
- وجاء رجل من أهل الكوفة فوقع فى أبى حنيفة فقال له ابن المبارك : ويحك أتقع فى رجل صلى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد ؟ وكان يجمع القرآن فى ركعتين فى ليلة ، وتعلمت الفقه الذى من عندى من أبى حنيفة .
- وقال أبو يوسف : بينما أنا أمشى مع أبى حنيفة إذ سمع رجلاً يقول لرجل : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل ، فقال أبو حنيفة : والله لا يتحدث عنى بما لا أفعل فكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعاً .
- وعن ابن الجويرية قال : صحبت حماد بن أبى سليمان ، ومحارب بن دثار ، وعلقمة بن مرتد وعون بن عبد الله ، وصحبت أبا حنيفة فما كان فى القوم رجل أحسن ليلاً من أبى حنيفة ، لقد صحبته أشهراً فما منها ليلة وضع فيها جنبه .

وكان رحمه الله إذا أراد أن يصلى من الليل تزين حتى يسرح لحيته .

- وعن مسعر بن كدام قال : أتيت أبا حنيفة فى مسجده فرأيته يصلى الغداة ثم يجلس للناس فى العلم إلى أن يصلى الظهر ، ثم يجلس إلى العصر فإذا صلى العصر

جلس إلى المغرب ، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلى العشاء ، فقلت فى نفسى : هذا الرجل فى هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة ؟ لأتعاهدنه الليلة قال فتعاهدته فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ثلاث ليال ، كما يقول مسعر ، حتى قال مسعر : لألزمنه إلى أن يموت أو أموت .

● وقال مسعر : دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلى فاستحليت قراءته فقرأ سبعاً ، فقلت يركع ، ثم قرأ الثلث ، ثم قرأ النصف ، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله فى ركعة فنظرت فإذا هو أبو حنيفة .

● وقال خارجة بن مصعب : ختم القرآن فى الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وأبو حنيفة .

● وظلّ ليلة يردد فى قيامه بعد العشاء قوله تعالى : ﴿ **فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ إلى الصبح .

● **وقال القاسم بن معين : قال أبو حنيفة ليلة بهذه الآية : ﴿بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمرّ﴾** يرددها ويبكى ويتضرع .

● قال يزيد بن الكميت ـ وكان من خيار الناس ـ كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله ، فقرأ بنا على بن الحسين المؤذن ليلة فى عشاء الآخرة **﴿إذا زلزلت﴾** ، وأبو حنيفة خلفه فظل أبو حنيفة قائماً إلى الصباح وهو يقول : يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيراً ، ويا من يجزى بمثقال ذرة شر شراً ، أجِر النعمان عبدك من النار ، وما يقرب منها من السوء ، وأدخله فى سعة رحمتك [1] .

قيام هارون الرشيد :

كان يغزو عاماً ويحج عاماً .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٥٣ ، ١٥٧

قال الشاعر :

فمنْ يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففى أرض العدو على طمر وفى أرض الترفه فوق كور
وما جاز الثغور سواك خلق من المتخلفين على الأمور

● كان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابغة والكسوة التامة .

● قال الحافظ ابن كثير : «كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة تطوعاً إلى أن فارق الدنيا إلاّ أن تعرض له علة » .

قال الفضيل : ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد ، وإنى لأدعو الله أن يزيد فى عمره من عمرى ، قالوا : فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات ، وظهر القول بخلق القرآن فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك [1] .

هذا هو الخليفة المفترى عليه .. يغزو عاماً ويحج عاماً ويصلى مائة ركعة .. هذا هو هارون الذى أكثر الرعاع فيه القول وجعلوه نديماً للكاس والطاس .

● قال منصور بن عمار : « ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة : فضيل ابن عياض وأبو عبد الرحمن الزاهد وهارون الرشيد [2] .

أقلّوا عليه ويحكم لا أبالكم من اللوم أو سدّوا المكان الذى سدّا

وإن تعجب فأعجب من سيرة الخليفة أبى جعفر المنصور الذى تكلموا عنه كخليفة أحاط نفسه بالحجاب وكان شديداً .. وفشا الظلم ببابه ، ولقد أوردنا سيرته ليس كعلم من أعلام سلفنا وقدوة وإنما لنقول إن قيام السلف وعبادتهم أثرت وامتد أثرها إلى أبى جعفر المنصور الذى فعل وفعل وفعل ، ولا عجب فقد

---

(١) البداية والنهاية ٢١٣/١٠ - ٢٢٣

(٢) تاريخ بغداد ٨/١٤

كان خليفة على مثل مالك :

قيام أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

«كان إذا صلى العشاء نظر فى الكتب والرسائل الواردة من الآفاق ، وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام فى فراشه إلى الثلث الآخر ، فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى ينفجر الصباح ثم يخرج فيصلى بالناس » .

وكان يقول لابنه : يا بنى لا تجلس مجلساً إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك ، فإن الزهرى قال : علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال ولايكرهه إلا مؤنثوهم ، وصدق أخو زهرة » ولقد كان فى شبيبته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فنال جيداً وطرفاً صالحا .

وقد قيل له يوماً : يا أمير المؤمنين هل بقى شىء من اللذات لم تنله ؟ قال : شىء واحد ، قالوا : وما هو؟ قال : قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمك الله ، فاجتمع وزراؤه وكتابه ، وجلسوا حوله ، وقالوا : ليمل علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث ، فقال : لست منهم ، إنما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، رواد الآفاق ، وقطاع المسافات ، تارة بالعراق وتارة بالحجاز وتارة بالشام وتارة باليمن ، فهؤلاء نقلة الحديث [1]

قيام إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله :

أما عن ليل الإمام مالك فما ظنك أخى بليل سيد من سادات المسلمين يقول : « ما بت ليلة إلا رأيت رسول الله ﷺ [2] .

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١٢٥ ، ١٢٦

(٢) حلية الأولياء ٦/٣١٧

قيام ابن أبى ذئب الإمام الثبت أبى الحارث :

قال عنه الذهبى : العابد شيخ الوقت :

قال أحمد بن حنبل : كان ابن أبى ذئب يشبه سعيد بن المسيب ، فقيل لأحمد : أخلّف مثله ؟ قال : لا ، وكان أفضل من مالك إلاّ أن مالكاً كان أشد تنقية للرجال منه .

● قال الواقدى : كان من أورع الناس ، وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدرياً ، وكان يصلى الليل أجمع ويجتهد فى العبادة ، ولو قيل له إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مزيد اجتهاد ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

● قال أحمد : هو أورع وأقوم بالحق من مالك ، دخل على المنصور فلم يهبه أن قال له الحق ، وقال : الظلم ببابك فاش ، وأبو جعفر أبو جعفر .

● ودخل المهدى مسجد النبى ﷺ فلم يبق إلا من قام إلاّ ابن أبى ذئب ، فقيل له : قم ، فهذا أمير المؤمنين ، قال : إنما يقوم الناس لرب العالمين .

قال المهدى : دَعُوه فقد قامت كل شعرة فى رأسى[1]

قيام الامام المرضى : سفيان الثورى :

● قال عنه أبو نعيم : سمعت سفيان يقول : إنى لأفرح بالليل إذا جاء .

● وعن زائدة عن سفيان قال : إذا جاء الليل فرحت ، وإذا جاء النهار حزنت[2]

● وقال أبو خالد الأحمر : أكل سفيان ليلة فشبع فقال : إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام حتى أصبح[2] .

---

(١) انظر صفة الصفوة ج ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٢ ، سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ١٤١

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١/٨٥ ، ٨٦

● قال عبد الرزاق : أضاف سفيان برجل من أهل مكة فقرب إليه الطعام فأكل أكلاً جيداً ثم قرّب إليه التمر فأكل أكلاً جيداً ، ثم قرّب إليه الموز فأكل أكلاً جيداً ، ثم قام فشدّ وسطه فقال : يُقال شبع الحمار ثم كده . فلم يزل منتصباً حتى أصبح[1]

● وقال أبو يزيد المعنى : كان سفيان إذا أصبح مد رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كى يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل ، وكانت ساق سفيان كيمخت « يعنى من التورك فى الصلاة عليها »[2] .

● وقال عنه محمد بن يوسف : كان الثورى يقيمنا الليل فيقول : قوموا يا شباب ، صلّوا ما دمتم شباباً[3] . وفى رواية : إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟

● وكان رحمه الله يخرج يدور بالليل وينضح فى عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس[3] .

● ولما قيل له : كيف تصنع فى ليلك قال : لها عندى أول نومة تنام ما شاءت لا أمنعها فإذا استيقظت فلا أقيلها والله[4]

● وقرأ رحمه الله ليلة ﴿ **إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين** ﴾ فخرج فارا على وجهه حتى لحقوه . واجتمعت بنوثور عليه وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة أىْ أقصرْ عن هذا . وقال عبد الرحمن بن مهدى : ما عاشرت فى الناس رجلاً أرق من سفيان الثورى ، وكنت أرمقه فى الليلة بعد الليلة ينهض مذعوراً ينادى النار النار شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات[4] رحمك الله يا إمام فقد كنت قواماً إذا أقبل الدجى .. بعبرة مشتاق وقلب عميد .

---

(١) الجرح والتعديل ٩٦/١ .

(٢) كيمخت : كلمة فارسية معناها جلد حمار الوحش ، الجرح والتعديل ٩٥/١

(٣) الحلية ٥٩/٧

(٤) تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥٧

قيام أبي سلمة مسعر بن كدام رحمه الله :

سماه شعبة المصحف .

قال محمد بن مسعر : كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن ، فإذا فرغ من وِرْده لفّ رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة ، ثم يثب كما يثب الرجل الذي فقد منه شيء فهو يطلبه ، وإنما هو السواك والطهور ، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر ، وكان يجتهد على إخفاء ذلك جداً[١]

قيام سفيان بن عيينة أبي محمد رحمه الله :

كان رحمه الله يقول : إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي كتبت[٢] .

قيام علي والحسن ابني صالح بن حي رحمهما الله :

● قال وكيع بن الجراح : كان علي والحسن ابنا صالح بن حيي وأمهما قد جزؤا الليل ثلاثة أجزاء فكان علي يقوم الثلث ثم ينام ، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام ، وتقوم أمهما الثلث ، ثم ماتت أمهما ، فجزئا الليل بينهما فكان يقومان به حتى الصباح ، ثم مات علي فقام الحسن به ، وكان يقال : الحسن حية الوادي ـ يعني لا ينام بالليل .

وكان يقول : إني أستحيي من الله تعالى أن أنام تكلفاً حتى يكون النوم هو الذي يصير عني فإذا أنا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائماً فلا أرقد الله عينيّ .

● قال أبو سليمان الداراني : ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح قام ليلة فقرأ ﴿ عم يتساءلون ﴾ فغشي عليه فلم يختمها حتى طلع الفجر[٣] .

---

(١) حلية الأولياء ٧/٢١٦

(٢) حلية الأولياء ٧/٢٧١

(٣) حلية الأولياء ٧/٣٢٨

قيام داود الطائى رحمه الله : الفقيه الواعى ، البصير الراعى ، العابد الطاوى :

كان أبو سليمان داود بن الطائى يقول : كفى بالعبادة شغلاً[1] .

وكان رحمه الله يقول : إنما الليل والنهار مراحل تنزل بالناس مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم فى كل يوم مرحلة زاداً لما بين يديك فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك ، فكأن بالأمر قد بغتك[1] .

● قالت عنه أم سعيد بن علقمة ـ وكانت طائية ـ كان بيننا وبين داود الطائى جدار قصير فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ ، ولربما ترنم فى السحر بشىء من القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع فى ترنيمه تلك الساعة ، وكان لا يصبح ـ تعنى لايسرج[2] .

● وعنه رحمه الله قال : ما حسدت أحداً على شىء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل ، فإنى أحب أن أرزق وقتاً من الليل ، وكان رحمه الله إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً .

● قال عنه أبو عبد الرحمن المذكر : كان داود يحيى الليل صلاة ثم يقعد بحذاء القبلة فيقول : يا سواد ليلة لا تضىء ، ويا بُعد سفر لا ينقضى ، ويا خلوتك بى تقول داود ألم تستح ؟[3] .

● وكان رحمه الله كما قال ابن السماك فى رثائه « آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً ، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس » .

ووقف ابن السماك على قبره بعد دفنه : فقال : يا داود كنت تسهر ليلك إذا

---

(١) الحلية ٣٤٦/٧

(٢) الحلية ٣٥٦/٧

(٣) تاريخ بغداد ٣٥٣/٨

الناس ينامون ، فقال القوم : صدقت[1] .

قيام أبي اسحاق : إبراهيم بن أدهم : الحازم الأحزم ، العازم الألزم :

● كان مخلد بن الحسين يقول عنه : ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله فأغتم ، ثم اتعزى بهذه الآية ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾[2] .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول : لولا ثلاث ما باليت أن أكون يعسوباً : ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء والتهجد بكتاب الله عز وجل[3] .

وكان رحمه الله يقول : إذا كنت بالليل نائماً ، وبالنهار هائماً ، وفي المعاصي دائماً ، فكيف ترضى من هو بأمورك قائماً[4] .

● قال إبراهيم بن بشار : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول هذا ويتمثل به إذا خلا في جوف الليل بصوت حزين موجع القلوب :

ومتى أنت صغيراً وكثيراً أخو علل   فتى ينقضي الردى ومتى ويحك العمل ؟

ثم يقول : يانفس إياك والغرّة بالله ، فقد قال الصادق « لاتغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور »

● **وقال رحمه الله :**

قم الليل يا هذا لعلك ترشد	**إلى كم تنام الليل والعمر ينفد**
أراك بطول الليل ـ ويحك ـ نائماً	**وغيرك في محرابه يتهجد**
ولو علم البطال ما نال زاهد	**من الأجر والإحسان ما كان يرقدُ**
فصام وقام الليل والناس نوّم	**ويخلو برب واحد متفرد**

---

(١) تاريخ بغداد ٣٥٥/٨

(٢) الحلية ٢٢/٨

(٣) الحلية ٢٣/٨

(٤) الحلية ج ٨ ص ١١

بحزم وعـزم واجتهـاد ورغبـة ... ويعلمُ أن الله ذا العرش يُعبدُ
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكـان رسـول الله حيـاً مخلدُ
أتـرقد يـا مغرور والنـار توقدُ ... فلا حرّها يطفا ولا الجمر يخمد
فيا راكب العصيان ويحك خلّهـا ... ستحشر عطشاناً ووجهك أسود[1]

رحمك الله أبا اسحاق ولله درك حين تقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذًا لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم ... رحمك الله فقد طلبت بحبوحة الجنة .

قيام عثمان بن أبي دهرش :

● **يقول عنه عبد الله** بن المبارك : إنه كان إذا رأى الفجر أقبل عليه بثه[2] وقال : أصير الآن مع الناس فلا أرى ما أجنى على نفسي . وكان رحمه الله يقول : ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله من تقصيري فيها[3] .

قيام أبي علي : الفضيل بن عياض : الناقل من المهالك والسباخ إلى الغصون والرياض :

بلغ من مكانته أن أمير المؤمنين فى الحديث فى زمانه سفيان بن عيينة كان إذا ألتق به قبّل يده كما يقول االذهبي[4] كانت آيات الذكر المتلو أثناء الليل سببا فى توبة هذا السيد من سادات المسلمين ، فلقد كان رحمه الله فى بداية أمره شاطراً ــ قاطع طريق ــ وكان يتعشق جارية فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جداراً إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبّهم لذكر الله** ﴾ فقال بلى[5] . وتاب وصار جبلاً فى العبادة ونسيجا وحده فى التهجد .

---

(١) عقود اللؤلؤ والمرجان فى وظائف شهر رمضان
(٢) أحزنه
(٣) الزهد لابن حنبل ص ٣٥٦
(٤) البداية والنهاية ج ١٠
(٥) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ـ شريط قيام الليل للشيخ الطحان الشريط الثالث الوجه الأول

• قال عنه إسحاق بن إبراهيم : « ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من الفضيل ».

قال عنه عبد الله بن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن .

وقال عنه هارون الرشيد : ما رأيت أهيب من مالك ولا أورع من الفضيل .

وانظر إلى أثر التهجد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

انظر إلى سيد من سادات المتهجدين الذى كان إذا وعظ قبّل ابن المبارك جبهته وقال : يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك .

انظر إليه حين يقول : « لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنو إلى هؤلاء ـ يعنى السلطان ـ وقال أيضاً : رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم الليل ويصوم النهار ويحج ويعتمر ويجاهد فى سبيل الله . واسمع يا أخى إلى الجبال حين تتكلم استمع إلى زواجر الكلم تلقى على مسامع الخليفة من قِبل متهجد وهو الفضيل : قال الفضل بن الربيع [1] : حج أمير المؤمنين فأتانى فخرجت مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك ، فقال : ويحك قد حاك فى نفسى شىء فانظر لى رجلاً أسأله ، فقلت ههنا سفيان بن عيينة ، فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا الباب فقال : من ذا ، قلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك ، فقال : خذ لما جئناك له رحمك الله . فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ فقال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله قلت : ههنا عبد الرزاق بن همام ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعاً فقال : من هذا ، قلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ لأتيتك ، قال : خذ لما جئناك له ، فحادثه ساعة ، ثم قال له عليك دين ؟ قال : نعم ،

---

(١) انظر إلى القصة فى الحلية ٨/١٠٥ ـ ١٠٧ .

قال أبا عباس اقض دينه ، فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله ، قلت : ههنا الفضيل بن عياض ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها ، فقال اقرع الباب ، فقرعت الباب فقال : منْ هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : مالى ولأمير المؤمنين؟ فقلت : سبحان الله ، أما عليك طاعة ؟ أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «**ليس للمؤمن أن يذل نفسه**» فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول بأيدينا ، فسبقت كف هارون قبلى إليه فقال : يالها من كف ، ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل . فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام من تقى قلب نقى ، فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ورجاء بن حيوة فقال لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىّ ، فعدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت ، وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً ، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك ، وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت ، وإنى أقول لك فإنى أخاف عليك أشد الخوف يوماً تزل فيه الأقدام ، .فهل معك رحمك الله مثل هذا ؟ أومَنْ يشير عليك بمثل هذا ، فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً حتى غُشى عليه ، فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين ، فقال : يا ابن الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ! ! ، ثم أفاق فقال له : زدنى رحمك الله فقال : ياأمير المؤمنين بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى فكتب إليه عمر : يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله

فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل قال : فبكى هارون بكاء شديداً . ثم قال له : زدني رحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أَمِّرْني على إمارة ، فقال له النبي ﷺ : « **إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فأفعل** » . فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً ، فقال له : زدني رحمك الله قال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : « **من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة** » فبكى هارون الرشيد وقال له : عليك دين ؟ قال : نعم ! دين لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لَمْ ألهم حجتي ، قال : إنما أعني من دين العباد ؟ قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال جل وعز ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ فقال له : هذه ألف دينار فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك ، فقال : سبحان الله ! أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ، ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب قال هارون : إن دللتني على رجل فدلني على مثل هذا . هذا سيد المسلمين » .

كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها وسأل ، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً ، تلقى له حصير في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه ، فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلاً ، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح ،

وكان دأبه إذا نعس أن ينام [1].

- وكان رحمه الله يقول : «كان يقال من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار ، الطاهرة قلوبهم ، خلائق ثلاثة : الحلم والإنابة وحظ من قيام الليل» [2].

- وأخذ الفضيل رحمه الله بيد الحسين بن زياد وقال : يا حسين : ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب : [كذب من ادعى محبتى ، فإذا جنّه الليل نام عنى ؟!! أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ؟ ها أنذا مُطَّلِعٌ على أحبائى إذا جنهم الليل ، مثلت نفسى بين أعينهم فخاطبونى على المشاهدة ، وكلَّمُونى على حضورى ، غداً أقر أعين أحبائى فى جناتى] [3].

- وقال رحمه الله : أدركت أقواماً يستحيون من الله سواد الليل من طول الهجعة ، إنما هو على الجنب ، فإذا تحرك قال : ليس هذا لك ، قومى خذى حظك من الآخرة [4].

- وكان رحمه الله يقول : « إنى لأقوم الليلة فيطلع الفجر فيرجف قلبى وأقول : جاء النهار بما فيه من الآفات [5].

قيام أبى عبد الرحمن عبد الله بن المبارك : المتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج والجهاد :

إمام المسلمين كما يقول أبو إسحاق الفزارى .. الطيب المبارك .. يقول عنه الأوزاعى : لو رأيته لقرت عينك به .

- قال على بن الحسن بن شقيق : لم أر أحداً من الناس أقرأ من ابن المبارك

---

(١) حلية الأولياء ٨/٨٦.
(٢) حلية الأولياء ٨/٩٥.
(٣) الحلية ٨/١٠٠
(٤) الحلية ٨/١٠١
(٥) تنبيه المغترين ص ٣٤

ولا أحسن قراءة ، ولا أكثر صلاة منه ، كان يصلى الليل كله فى السفر وغيره .

وكان يرتل القراءة ويمدها ، وإنما ترك النوم فى المحمل لأنه كان يصلى وكان الناس لا يدرون .

● انظروا إلى قول سفيان الثورى : « لو جهدت جهدى أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر » ، وقال عبد الرحمن بن مهدى : كان نسيجًا وحده .

● قال محمد بن أعين وكان صاحب ابن المبارك فى الأسفار وكان كريماً عليه ـ قال : كان ذات ليلة ونحن فى غزاة الروم ذهب ليضع رأسه ليرينى أنه ينام ، فقلت : أنا برمحى فى يدى قبضت عليه ووضعت رأسى على الرمح كأنى أنام كذلك ، قال : فظن أنى قد نمت فقام فأخذ فى صلاته فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه ، فلما طلع الفجر أيقظنى وظن أنى نائم ، وقال : يا محمد فقلت : إنى لم أنم . قال فلما سمعها منى ما رأيته بعد ذلك يكلمنى ولا ينبسط إلىّ فى شيء من غزاته كلها كأنه لم يعجبه ذلك منى لما فطنت له من العمل ، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات ، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه[1]

إذا سار عبد الله من مروَ ليلة فقد سار منها نورها وجمالها
إذا ذُكر الأحبار فى كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها

قيام عبد العزيز بن أبى رواد : أبى عبد الرحمن العابد السجّاد :

كان رحمه الله يفرش له الفراش فيضع يده عليه ويقول : ما ألينك ولكن فراش الجنة ألين منك ثم يقوم إلى صلاته[2]

محمد بن النضر الحارثى :

وكان من أعبد أهل زمانه وكان يقول : أكره أن أعطى عينى فى الدنيا سؤلها فى النوم[3]

---

(١) الجرح والتعديل ١/٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) تنبيه المغترين ص ٣٤

(٣) الحلية ٨/٢١٩

● قيل له : أما تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرنى .

نعم أبا عبد الرحمن .. أيها الصالح بمولاك فافرح وبذكره فتنعم .

محمد بن يوسف الأصبهانى : « عروس العبّاد » :

● كما سماه بذلك ابن المبارك لم يكن رحمه الله يضع جنبه ، وفى ليالى الشتاء كان يتمدد من جلوس ثم يقوم ويتمسح إذا طلع الفجر(١)

قيام يوسف بن أسباط :

قال رحمه الله : عجبت كيف تنام عين مع المخافة(٢)

قيام أبى معاوية الأسود :

كان رحمه الله يقول فى جوف الليل :

« من كانت الدنيا أكبر همه طال غداً فى القبر غمه ، ومن خاف الوعيد لها فى الدنيا عمّا يريد يا مسكين إن كنت تريد لنفسك فلا تنامن الليل إلا القليل . ثم بكى رحمه الله بكاءً شديداً ثم قال : أوه من يوم يتغير فيه لونى ويتلجلج فيه لسانى ويقل فيه زادى(٣) .

● وكان يقول إذا قام من الليل يستقى الماء : ما ضرّهم ما أصابهم فى الدنيا ، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة(٤) .

وقال رحمه الله : شمروا طلاباً وشمروا هداباً ، لم يضرهم ما أصابهم فى الدنيا ، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة(٥) .

قيام على بن الفضيل بن عياض :

قال الفضيل : أشرف ليلة علىّ وهو فى صحن الدار وهو يقول : النار ،

---

(١) الحلية ٢٣٤/٨

(٢) الحلية ٢٣٨/٨ ومختصر قيام الليل ص ١٨

(٣، ٤، ٥) الحلية ٢٧٢/٨ ، ٢٧٣ .

ومتى الخلاص من النار .

وكان رحمه الله يصلى حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول : يا أبت سبقنى المتعبدون[1] .

قيام أبى نصر بشر بن الحارث الحافى :

قيل له مرة : ألا تستريح لك فى الليل ساعة ؟ فقال إن رسول الله ﷺ قد قام حتى تورمت قدماه وقطر منهما الدم مع أن الله تعالى قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكيف أنام وأنا ولم أعلم أن الله غفر لى ذنباً واحداً[2] .

كان رحمه الله لا ينام الليل ويقول أخاف أن يأتى أمر وأنا نائم .

رقد السّمَّار وأَرّقه هـمّ للبين يردده
فبكاه النجم ورقّ له مما يرعاه ويرصده

قيام وكيع بن الجراح :

- قال ابن حنبل : لو رأيت وكيعاً لعلمت أنك ما رأيت مثله .
- قال يحيى بن أكثم : صحبت وكيعاً فى السفر والحضر وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة .
- وقال يحيى بن معين : ما رأيت أفضل من وكيع ، كان يستقبل القبلة ويحفظ حديثه ويقوم الليل ويسرد الصوم .
- وقال عنه أصحابه الذين كانوا يلزمونه : كان وكيع لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن ، ثم يقوم فى آخر الليل فيقرأ المفصّل ، ثم يجلس فيأخذ فى الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلى ركعتين .
- وقال ابنه إبراهيم : كان أبى يصلى الليل فلا يبقى فى دارنا أحد إلا صلّى حتى

---

(١) الحلية ٢٩٨/٨ .

(٢) تنبيه المغترين ص ٣٤

إن جارية لنا سوداء تصلى .

• وقال الحسين بن أبى يزيد : صاحبت وكيع بن الجراح إلى مكة فما رأيته متكئاً ، ولا رأيته نائماً فى محمله [1] .

قيام أمير المؤمنين فى الحديث : شعبة الخير .. أبى بسطام .. شعبة بن الحجاج :

كان الثورى يقول : أستاذنا شعبة .

وكان يعقوب يقول : حدّثنى الضخم عن الضخام شعبة الخير أبو بسطام .

• قال عفان : كان شعبة من العباد [2] .

• وقال عبد السلام بن مطهر : ما رأيت فى الفقهاء مثل شعبة أيبس ولا أمعن فى العبادة منه .

• قال أبو بحر البكراوى : ما رأيت أعبد من شعبة .. لقد عبد الله حتى جَفَّ جلده على عظمه ليس بينهما لحم .

• وقال عمر بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر كله لا يرى عليه .

• وقال أبو قطن : ما رأيت شعبة ركع قطّ إلا ظننت أنه قد نسى ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسى .

• وقال أبو قطن أيضًا : كانت ثياب شعبة لونها لون التراب ، وكان كثير الصلاة ، كثير الصيام سخى النفس .

• وقال مسلم بن إبراهيم : ما دخلت على شعبة فى وقت صلاة قطّ إلا رأيته يصلى [3] .

قيام الإمام يحيى بن سعيد القطان :

قال الإمام أحمد لم تر عينى مثل يحيى بن سعيد .

---

(1) صفة الصفوة ١٧٠/٣ - ١٧٢

(2) انظر الجرح والتعديل والحلية وصفة الصفوة

(3) صفة الصفوة ٣٤٩/٣

قال على : كان يحيى يختم القرآن فى كل يوم وليلة .

وقال يحيى بن معين : أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن فى كل ليلة [1] .

قيام عبد الرحمن بن مهدى .. الإمام المبجل :

قال على بن المدينى : أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدى .

قال على بن المدينى : كان عبد الرحمن بن مهدى يختم فى كل ليلتين ، كان ورده فى كل ليلة نصف القرآن [2] .

قيام ناصر السنة الإمام المطلبى الشافعى رحمه الله :

● قال الربيع بن سليمان : كان الشافعى جزأ الليل ثلاثة أجزاء : الأول يكتب ، والثانى يصلى ، والثالث : ينام .

● وحدّث حسين الكرابيسى فقال : بت مع الشافعى ، فكان يصلى نحو ثلث الليل ، وما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فمائة ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين ، ولا يمر بآية عذاب إلاّ تعوّذ بالله منه ، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكأنما جمع له الرجاء والرهبة معاً [3] .

● وقال عنه الربيع بن سليمان : كان يحيى الليل إلى أن مات ، وكان يختم فى كل ليلة ختمة [4] ـ يعنى فى الصلاة ـ فرحم الله أستاذ الأستاذين الإمام القرشى سيد الفقهاء ولله در ابن حنبل حين يقول : :

«كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من

---

(١) الجرح والتعديل ، صفة الصفوة ، الحلية.

(٢) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤٧.

(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقى ١٢١ ، ١٢٢ تحقيق السيد أحمد صقر طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية انظر تاريخ بغداد ٦٢/٢

(٤) تاريخ بغداد ٦٣/٢ ، ٦٤

خلف ، أو منهما عوض » .

● يقول الشافعي واصفاً المتهجد :

فلله در العارف الندب إنه — تفيض لفرط الوجد أجفانه دما

يقيم إذا ما الليل مدّ ظلامه — على نفسه من شدة الخوف مأتما

فصار قرين الهم طول نهاره — أخا السهد والنجوى إذا الليل أظلما

يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي — كفى بك للراجين سُؤلا ومغنما

ألست الذى غذيتني وهديتني — ولا زلت منّانا عليّ ومنعما

ففي يقظتي شوق وفي غفوتي مُنىً — تلاحق خطوى نشوة وترنما[1]

قيام إمام أهل السنة معلم الخير أبي عبد الله أحمد بن حنبل :

● يقول إبراهيم بن شماسَ العابد الزاهد الذى مات فى غزوة خرج لها من أقصى ثغور الإسلام فى سمرقند سنة ٢٢١هـ «كنت أرى أحمد بن حنبل يحيي الليل وهو غلام »[2] .

● وعن عبد الله بن أحمد قال : كان أبي يقرأ فى كل يوم سبعاً ، يختم فى كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة فى كل سبع ليال سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلى عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو[3] .

وتعالى معى يا أخى لترى حال سيد من سادات المتقين الذى قال له عبد الرزاق الصنعانى حافظ اليمن : جزاك الله عن نبيك خيراً[4] .

● قال أبو بكر المروزى : كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر ، ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار ، فما علمت بختمة ختمها وكان يسر ذلك[5] .

---

(١) ديوان الشافعى ص ١١٥ تحقيق دكتور محمد عبد المنعم خفاجة نشر مكتبة الكليات الأزهرية

(٢) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة لعبد الحليم الجندى ص ٤٠ طبعة دار المعارف

(٣) الحلية ١٨١/٩

(٤) طبقات الحنابلة ٢٠٩/١ للقاضى أبى يعلى ـ طبعة دار المعرفة ببيروت

(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزى ص١٩٥ . طبعة دار الآفاق الجديدة ببيروت .

رحمك الله أبا عبد الله فقد كنت آية فى الإخلاص وستر التعبد والصدق وكنت تقول : بهذا ارتفع القوم .

وكان رحمه الله يقول : يا نفس انصبى وإلا فستحزنى .

وقال عبد الصمد بن سليمان بن أبى مطر : بت عند أحمد بن حنبل فوضع لى ماء ، فلما أصبح وجدنى لم أستعمله فقال : صاحب حديث لا يكون له ورد فى الليل ؟ قال قلت : أنا مسافر قال : وإن كنت مسافرًا ! ! حج مسروق فما نام إلا ساجدًا[1] .

● وحدّث أبو عصمة بن عصام البيهقى قال : بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه ، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان فقال : سبحان الله ! ! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد من الليل[2] .

● وقال لمحمد بن الإمام الشافعى : أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحرًا .

● وقال هلال بن العلاء : خرج الشافعى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة ، فلما أن صاروا بمكة نزلوا فى موضع ، فأما الشافعى فإنه استلقى ، ويحيى بن معين أيضًا استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلى ، فلما أصبحوا قال الشافعى : لقد عملت للمسلمين مائتى مسئلة ، وقيل ليحيى بن معين : أى شىء عملت : قال : نفيت عن النبى ﷺ : مائتى كذاب ، وقيل لابن حنبل : فأنت ؟ قال : صليت ركعات ختمت فيها القرآن[3] .

● وقال القاضى أبو يعلى : ختم إمامنا أحمد القرآن فى ليلة بمكة مصليًا به[4] .

● وحدّث عنه ابنه صالح : كانت لأبى قلنسوة قد خاطها بيده فيها قطن ، فإذا قام من الليل لبسها ، وكنت أسمع أبى كثيرًا يتلو سورة الكهف[5] .

● يقول عنه إبراهيم بن هانى ـ وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان ـ توارى عنده : كان يصلى بعد العشاء الآخرة ركعات ثم ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيتطهر

(١ ، ٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٧٩ .

(٣) مناقب الإمام ص ٢٨٧ .

(٤) طبقات الحنابلة ص ٩ .

(٥) مناقب الإمام ص ٢٨٧ .

ولا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ثم يوتر بركعة ، وكان هذا دأبه طول مقامه عندى ، ما رأيته فتر ليلة واحدة ، وكنت لا أقوى معه على العبادة[1] .

واسمع أخى إلى قولهم عن الإمام الشيبانى وصديق الأمة الثانى فلا يعرف قدر الرجال إلا الرجال .

يقول على بن المدينى : قال لى سيدى أحمد بن حنبل : لا تحدث إلا من كتاب ابن المدينى يقول هذا وقد قال البخارى عن ابن المدينى : ما استصغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى ، وقيل للبخارى ما تشتهى : قال أن أدخل بغداد فيحدثنى على وأحدثه .

رحمك الله يا ابن حنبل يا من قال عنك الذهبى أنك : شيخ الإسلام وسيد المسلمين .

ولله در القائل :

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة   وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً   فاعلم بأن ستوره ستهتك

قيام أمير المؤمنين فى الحديث أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى :

- كان يقرأ فى السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر فى كل ثلاث ليال[2] .

- قال عنه محمد بن أبى حاتم الورّاق : كان أبو عبد الله إذا كنت معه فى سفر يجمعنا بيت واحد إلاّ فى القيظ أحياناً ، فكنت أراه يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة فى كل ذلك يأخذ القدّاحة فيورى ناراً بيده ويسرج ، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه ، وكان يصلى فى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة ، وكان لا يوقظنى فى كل ما يقوم ، فقلت له : إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظنى ؟ قال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك .

---

(١) مناقب الإمام ص ٢٨٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢/١ ، هدى السارى لابن حجر ص ٤٨١ .

انظروا عباد الله وخبروني : كيف يكون ليل هذا الإمام العابد الذي لو كان في الصحابة لكان آية .. يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة.

اللهم : إنا لسنا بأهل أن نكتب عن هؤلاء القمم فغفرانك :

ويرحم الله أهل بغداد حين كتبوا للبخاري :

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

ليله عبادة ممزوجة بعلم ودعاء ، فلقد كتب « التاريخ الكبير » في الليالي المقمرة عند قبر رسول الله ﷺ ، وما كتب ترجمة من تراجم الجامع الصحيح إلا تطهر وصلى ركعتين . انظروا إلى المتهجد العابد مستجاب الدعوة الذي ضاق بتغير أخلاق الناس فيختار الدعاء في ليلة من الليالي بعد فراغه من صلاة الليل ويقول في دعائه : « اللهم إنه قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك فما أتمّ الشهر حتى قبضه الله إليه رحمه الله تعالى »[1] .

قيام الليل عند أبي سليمان الداراني رحمه الله :

- كان يقول لأحمد بن الحواري تلميذه : « جوع قليل ، وعري قليل ، وسهر قليل ، وذل قليل ، وبرد قليل ، وصبر قليل يقطع عنك الدنيا »[2] .

- وقال له ابن الحواري إن ابن داود قال : « ليت الليل أطول مما هو » قال « قد أحسن وقد أساء ، قد أحسن حين تمنى طول الليل للطاعة ، وأساء حين تمنى طول ما قصره الله ، إنه إن مضت عنا هذه فله في التي تأتي عوض » .

- وكان رحمه الله يقول لتلميذه ابن الحواري : يا أحمد كن كوكبًا ، فإن لم تكن كوكبًا فكن قمرًا ، فإن لم تكن قمرًا فكن شمسًا فقال له ابن الحواري : يا أبا سليمان القمر أضوأ من الكواكب ، والشمس أضوأ من القمر . قال : يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر ، فقم أول الليل إلى آخره ، فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره ، فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/١ ، ٣٤ .

(٢) الحلية ٢٥٧/٩ .

بالنهار [١] .

● وقال له ابن الحوارى : تبيت عندنا ؟ قال : ما أحبكم تشغلونى بالنهار وتريدون أن تشغلونى بالليل [٢] .

● وكان يقول لابن الحوارى : بترك الشهوات ثواب . وللمداومة ثواب . وإنما أنا وأنت ممّن يقوم ليلة وينام ليلتين . ويصوم يومًا ويفطر يومين . وليس تستنير القلوب على هذا [٣] .

رحمك الله يا أبا سليمان : ونحن فما نفعل .. نحثو على وجوهنا التراب .

● وكان رحمه الله يقول : ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها ، ولولا أن الله تعالى يمنّ على بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمرى لأن لى فى كل تدبر علماً جديداً والقرآن لا تنقضى عجائبه [٤] .

قيام الليل عند علىّ بن بكّار : ـ

المرابط الصبّار والمجاهد الكرّار .. بكى حتى عمى . كانت الجارية تفرش له فراشه فيلمسه بيده ويقول : والله إنك لطيب . والله إنك لبارد ، والله لا علوتك ليلتى ، ويصلى حتى الفجر [٥] . قال موسى بن طريف : كان يصلى الفجر بوضوء العتمة [٦] .

قيام أبى الفيض ذى النون المصرى :

كان رحمه الله يردد :

لم تشتكى ألم البلا	وأنت تنتحل المحبه
إن المحب هو الصبو	ر على البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السرو	ر مع الشفاء لكل كربه

(١) الحلية ٢٦١/٩ .

(٢) الحلية ٢٦٣/٩ .

(٣) الحلية ٢٧١/٩ .

(٤) تنبيه المغترين ١٢٠ .

(٥) الحلية ٣١٨/٩ .

(٦) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٣٨٦ .

قال رحمه الله : ثلاثة من أعلام العبادة : حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة ، وكراهة الصبح لرؤية الناس والغفلة ، والبدار بالصالحات مخافة الفتنة [1] .

وأنشد رحمه الله :

عجباً لقلبك كيف لا يتصدع ... ولركن جسمك كيف لا يتضعضعُ

فاكحل بملمول السهاد لدى الدجى ... إن كنت تفهم ماتقول وتسمع

منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها لا تهجع

فهموا عن الملك الكريم كلامه ... فهمًا تذل له الرقاب وتخضع [2]

رحمك الله أبا الفيض فمن ذاق عرف ، وهذا الكلام لا يصدر إلا عن نفس أنست بالله فى ظلم الدياجى .

● كان رحمه الله مرة على ساحل البحر فلما جنّ الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال سبحان الله ما أعظم شأنكما ، بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما . فلما تهوّر الليل لم يزل ينشد هذين البيتين :

اطلبوا لأنفسكم مثل ماوجدت أنا

قد وجدت لى سكناً ليس فى هواه عَنَا

إن بعدت قرّبنى أو قربت منه دنا

إن لله تعالى عباداً تعلى قلوبهم بالأذكار والترنم بالقرآن فى الدياجى كما تعلى الأطيار فى الأوكار ، لو فتشت منهم القلوب لما وجدت فيها غير حب المحبوب .

انظر يرحمك الله إلى ذى النون وهو يقول :

وأذكر أصنافاً من الذكر حشوها ... وداد وشوق يبعثان على الذكر

فذكر أليف الحب ممتزج بها ... يحل محل الروح فى طرفها يسرى

وذكر علا منى المفاوزز والذرى ... يجل عن الأوصاف بالوهم والفكر

ومَنْ كان هذا شأنه حق له أن يقول مناجيًا مولاه :

---

(١) الحلية ٣١٨/٩ .

(٢) الحلية ٣٦٢/٩ .

موت وما ماتت إليك صبابتى ولا رويت من صدق حبك أوطارى
نحمل قلبى فيك مالا أبثه وإن طال سقمى فيك أو طال إضرارى
وبين ضلوعي منك مالك قد بدا ولم يبد باديه لأهل ولا جار

يحيى بن معاذ :

أما يحيى الذى استلذ السهاد تحريًا للوداد .. فقال : « طوبى لعبد أصبحت العبادة حرفته ، والفقر منيته والعزلة شهوته ، والآخرة همته ، وطلب العيش بلغته ، وجعل الموت فكرته ، وشغل بالزهد نيته ، وأمات بالذل عزته ، وجعل إلى الرب حاجته ، يذكر فى الخلوات خطيئته ، وأرسل على الوجنة عبرته ، وشكى إلى الله غربته ، وسأله بالتوبة رحمته ، طوبى لمن كان ذلك صفته ، وعلى الذنوب ندامته ، جآر الليل والنهار ، وبكاءٌ إلى الله بالأسحار ، يناجى الرحمن ويطلب الجنان ويخاف النيران[1] .

وأنشد رحمه الله :

نفس المحب إلى الحبيب تطلع وفؤاده من حبه يتقطع
عز الحبيب إذا خلا فى ليله بحبيبه يشكو إليه ويضرع
ويقوم فى المحراب يشكو بثه والقلب منه إلى المحبة ينزع[1]

رحمك الله حين تقول : أبناء الآخرة يجدون لذة الكلام .

قيام السرى السقطى .. ذى القلب التقى .. الورع الخفى :

وهو خال الجنيد وأستاذه.

كان رحمه الله يقول :

مَنْ لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد[2]

وكان يقول عن العباد : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى.

---

(١) الحلية ١٠/٥٨ .

(٢) الحلية ١٠/١١٩ .

ويقول :

مافى النهار ولا فى الليل لى فرح   فما أبالى أطال الليل أم قصرا

قال الجنيد : كان السرى يقول لنا ونحن حوله « أنا لكم عبرة ، يا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل فى الشبوبية » .

وكان إذا جنّ عليه الليل دافع أوله ثم دافع ، فإذا غلبه الأمر أخذ فى النحيب والبكاء[1] .

كان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل يقول عنه دائماً : الشيخ الذى يعرف بطيب الغذاء .

قيام الحكم بن أبان « سيد أهل اليمن » .

كان يصلى الليل فإذا غلبه النوم ألقى بنفسه فى البحر وقال : « أسبّح الله مع الحيتان »[2] .

سهل بن عبد الله رحمه الله :

قال أبو الحسن بن سالم : عرفت سهلاً سنين من عمره كان يقوم الليل حتى يصبح يناجي ربه . كان رحمه الله يقول : « إذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى تسلم ليلتك لك ، وتؤدى حق الله فيها »[3]

العباس بن مساحق :

قال رحمه الله فى علامات المحبين : « جَفَوْا والله مضاجعهم ، وخربوا من العمارة فروشهم ، وعملوا إلى الرحيل إلى سيدهم ، وعمروا بالأبدان محاريبهم ، وبالقلوب درجاتهم[4] .

الجنيد سيد الطائفة رحمه الله :

رأى محمد بن إبراهيم الجنيد سيد الطائفة فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت

---

(١) الحلية ١٠/١٢٦ .

(٢) الحلية ١٠/١٤١ .

(٣) الحلية ١٠/١٩٥ .

(٤) الحلية ١٠/٢٢٦ .

تلك الرسوم ، وما نفعنا إلاّ ركيعات كنا نركعها فى الأسـحـار[1] .

وكان رحمه الله يقول : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك[2] .

سمنون بن حمزة رحمه الله :

كان رحمه الله يقول :

أحنّ بأطراف النهار صبابة وفى الليل يدعونى الهوى فأجيبُ
وأيامنا تفنى وشوقى زائد كأن زمان الشوق ليس يغيب[3]

أبو عبد الله الجلاّء :

سُئل أبو عبد الله الجلاء : كيف تكون ليالى الأحباب فأنشأ يقول :

مَنْ لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد

إبراهيم الخوّاص :

قال رحمه الله : « دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين »[4] .

قيام محمد بن جحادة الأودى مولى لبنى أود :

عن سفيان قال :

كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال إنه لا ينام من الليل إلاّ أيسره . قال : فرأت امرأة من جيرانه كأن حللاً فرّقت على أهل مسجدهم ، فلما انتهى الذى يفرّقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفط مختوم فأخرج منه حلة صفراء . قالت : فلم يقم لها بصرى فكساه إياها وقال له : هذه لك بطول السهر . قالت : تلك المرأة : فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأخالها عليه[5] .

(١) الحلية ٢٥٧/١٠ . رآه : أى فى المنام .
(٢) المصدر السابق ص ٢٥٧ .
(٣) الحلية ٣١١/١٠ .
(٤) الحلية ٣٢٧/١٠ .
(٥) صفة الصفوة ١١١/٣

قيام يزيد بن هارون :

• قال عنه على بن المدينى : ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون .

• قال أحمد بن سنان : ما رأيت عالماً قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون ، يقوم كأنه أسطوانة ، وكان يصلى بين المغرب والعشاء والظهر والعصر لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار ، هو وهشيم جميعًا معروفان بطول الصلاة بالليل والنهار .

• وقال عاصم بن على : كان يزيد بن هارون إذا صلى العتمة لا يزال قائماً حتى يصلى الغداة بذلك الوضوء نيفاً وأربعين سنة .

• وقال له رجل : كم حزبك ، فقال : وأنام من الليل شيئاً ؟ إذاً لا أنام الله عينى ، وظل يبكى حتى ذهبت عيناه وكان من أحسن الناس عينين[1] .

قيام الإمام أبى زكريا محيى الدين النووى :

– قال فى « البدر المسافر وكان كثير العبادة ، حكى لى البدر بن جماعة أنه سأله عن نومه فقال : إذا غلبنى النوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه .

وذكر لى صاحبنا الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح البعلى الحنبلى فى حياة الشيخ قال : كنت ليلة فى أواخر الليل بجامع دمشق والشيخ واقف يصلى إلى سارية فى ظلمة وهو يردد قوله تعالى : ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ مرارًا بخوف وخشوع حتى حصل عندى من ذلك أمر عظيم »[2]

• قشّر له أحد أصحابه خيارة ليطعمه إياها فامتنع من أكلها وقال أخشى أن ترطب جسمى وتجلب النوم .

• وكان يجرى دمعه فى الليل ويقول :

لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة
على غير ليلى فهو دمع مضيّع

---

(١) صفة الصفوة ٣/١٧ ، ١٨ .

(٢) كتاب ترجمة شيخ الإسلام : أبى زكريا محيى الدين النووى للحافظ السخاوى ص ٣٦ مطبعة جمعية النشر والتأليف بالأزهر

● وقال عنه الحافظ الذهبي : « الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الربانى شيخ الإسلام حسنة الأنام محيي الدين صاحب التصانيف التى سارت بها الركبان .. إلى أن قال :

لازم الاشتغال والتصنيف محتسبًا فى ذلك مبتغيًا وجه الله مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد وحفظ الجوارح وذم النفس والصبر على العيش الخشن ملازمة كلية لا مزيد عليها » أ . هـ . وكان السبكى بعد تقلده مدرسة دار الحديث خلفًا للنووى يمرغ وجهه على البساط الذى كان يطأ علية النووى ويقول :

وفى دار الحديث لطيف معنى ... على بسط منها أصبو وآوى
عسى أنى أمس بحر وجهى ... مكانًا مسّه قدم النواوى

قيام الليل عند شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال الحافظ المزى : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه . وما رأيت أحد أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لهما منه .

قال عنه الذهبي : « شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام ، مفتى الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقى الدين سيد العباد » .

· وقال قاضي القضاة كمال الدين بن الزَّمْلِكانى :

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أرْبت على الفجر

يقول الشيخ أبو الحسن الندوى عنه :

« لا يستطيع أى إنسان أن يتذوق العبادة وينهمك فيها مالم يشعر بلذتها ويذوق طعمها ، ومالم تحتل العبادة محل الدواء والنزاع والقوة ، ويصل إلى

درجة تصبح الصلاة فيها لعينه قرة ولروحه مسرة ، أما الشيخ ابن تيمية فيشهد معاصروه والمطلعون على أحواله بأنه كان له القدح المعلى فى هذه الثروة الغالية ، وكان له ذوق خاص فى العبادة والمناجاة والخلوة . وكان شديد الشغف بهذه الناحية ، عظيم الانهماك فيهما جاء فى « الكواكب الدرية » . وكان فى ليله منفرداً عن الناس كلهم خاليًا بربه ، ضارعًا مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم ، مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية ، وكان إذا دخل فى الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة » . ويقول العلامة الذهبي : « لم أر مثله فى ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه » ويقول أيضًا « وله أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية » أ . هـ .

● وقال عنه الذهبي « نشأ رحمه الله فى تصون تام وعفاف وتأله وتعبد » .

وقال بعض قدماء أصحابه : « برًا بأمه ورعاً عفيفاً عابداً ناسكاً صواماً قوّاماً ، ذكر الله تعالى فى كل أمر وعلى كل حال » .

يقول عنه تلميذه الحافظ ابن عبد الهادى لمّا سجن وأخرج ما معه من الكتب .

« ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق ، حمل إلى القاضى علاء الدين القونوى وجعل تحت يده فى المدرسة العادلية .

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد حتى أتاه اليقين ، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة انتهى فى آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿ **إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ » أ هـ .

ولا غرو أن مدحه الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجوخى فقال :

« كم له فى حنادس الخطب والخلق نيام حتى الضحى من قيام » (1)

---

(1) العقود الدرية جـ ٣٦٨ للحافظ ابن عبد الهادى دار الكتب العلمية ببيروت .

وقال بدر الدين حسن بن محمود النحوى الماردانى فى رثائه :

عجبت لقبر ضم جسمك تُربه ... أيحوى الثرى فى تربه الشمس والبحرا
نقلت من الدنيا إلى ظل روضة ... وجُزْت الذى أمَّلت بالمقلة السهرا
إذا قال فى علياك أمعن قائل ... فما حاط من معشار ما نلته العُشرا
وماذا يقول المادحون بوصفه ... وقدْرك فوق الشعر حل عن الشعرى
وإن أودعوك السجن منهم جهالة ... فقد زدت قدرًا ، عندما نقصوا القدرا
فما يختفى إلا الجواهر فى الورى ... ومن ظلم الأصداف يستخرج الدرا
سقاك حيًا . ومن وابل الغيث سحرة ... وحيًا ندىً قد ضم من كفك البحرا
ونَوّر نوار الربيع ربوعه ... وأطلع فى أرجائه الزهر والزهر[1]

ويقول عنه أيضا :

نثرت على فرق الزمان جواهرًا ... ودرًا على جيد الليالى تنظما
بفضل صلاة مع صلاتك فى الدجى ... وجودك والإحسان أربحت مغنما
متى صَيّر المعراج للخلد فى الدجى ... بأوراده ، لمّا تسلم سلما[2]

ويقول عنه شمس الدين الحنبلى :

لتبكينك دار كنت تسكنها ... وتشتكى فقدك الأسحار والأصل[3]

ويقول أيضاً :

ولم يزل فى قيام الدين مجتهدًا ... وإن خلا فى الدياجى فهو مبتهل

رحمك الله أبا العباس ، حين تقول : « ماذا يصنع أعدائى بى .. أنا جنتى وبستانى فى صدرى أينما رحت فهى معى .. إن معى كتاب الله وسنة نبيه .. إن قتلونى فقتلى شهادة .. وإن نفونى عن بلدى فنفيى سياحة وإن سجنونى فأنا فى خلوة مع ربى .. إن المحبوس من حبس عن ربه ، وإن الأسير من أسره هواه » ..
نعم يا شيخ الإسلام ويا زين المتهجدين .. كما يصفك ويرثيك الإمام زين الدين عمر بن الحسام الشبلى :

(١ ، ٢ ، ٣) انظر العقود الدرية .. ماقيل من مراثى فى شيخ الإسلام ابن تيمية .

يجفو المضاجع راكعاً وساجداً أو ذاكــــراً لله فى الـظلـماء

وكما يقول عنه الشيخ ابن الحضرى الحنبلى :

مـتـزهـدًا مـتـعـبدًا متهجدًا مـتـخشعاً متورعاً متدينا

ويقول الشيخ شهاب الدين التبريزى الحنفى فى سجن شيخ الإسلام :

غار الإله عليه من أغياره فــزواه عنهـم والمحب غـيـور

فخلا به يتلو عليه كلامه ولــه الحبيب مؤانس وسمير

حتى إذا اشتد التشوق زفّه زَف العروس وذيلها مجرور

ولقد سرى فوق الرقاب سريره فعجبت كيف الراسيات تسير

ماكنت أعلم قبل يوم وفاته أن البحار الزاخرات تغور

ولقد سرت لسريره لما سرى سير لها حتى النشور نشور

وكذا جنازته تعالى الله لم يـنظر لها فى العالمين نظير

ومن العجائب أنها نطقت على صمت بما هو كامن مستور

نعم ... قولوا لأهل البدع .. بيننا وبينكم يوم الجنائز ... نعم من غَسّله من الحفّاظ ، وكم شيعه من الناس .

يقول الشيخ تقى الدين الدقوقى البغدادى المحدث :

مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذى أقرّ له بالعلم والفضل ضده

يحنّ إليــه فى النهار صيــامه ويشتاقه فى ظلمة الليل ورده[(١)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية للملك الناصر الذى يقول له : أنت تفكر فى الحصول على الملك ، فيجيبه : « أنا أفعل ذلك ؟ والله إن منكك وملك المغول لا يساوى عندي فلساً »[(٢)].

قيام ابن قيم الجوزية :

لقدكان شيخ الإسلام ابن القيم والحافظ ابن عبد الهادى آية من آيات شيخ

---

(١) انظر العقود الدرية .

(٢) الكواكب الدرية ص ١٦٦

الإسلام ابن تيمية . وللشيخ شيخ الإسلام ابن القيم : روحانية لا تُجارى وهو بحق حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح.

يقول عنه ابن رجب الحنبلى تلميذه :

« وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى ولم أشاهد مثله فى عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان ، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر فى معناه مثله ، وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه شيخ الإسلام تقى الدين فى المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان فى مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة وتسلط بسبب ذلك على الكلام فى علوم أهل المعارف والخوض فى غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك وحج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته .. » أ . هـ[1]

قيام الإمام الصالح : ابن بطة الحنبلى صاحب كتاب « الإبانة » :

قال عنه الذهبى : صاحب أحوال وإجابة دعوة ، وقال ابن ماكولا : إنه أحد الزهاد العباد .

وقال ابن العماد : إنه « العبد الصالح » .

● ذكر ابن الجوزى بسنده أن أحمد بن محمد الدلوى قال : « لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة فلم يُر خارجاً فى سوق ، ولا رؤى مفطراً إلا يومى الأضحى والفطر . وكان قيام الليل أمراً عادياً بالنسبة للشيخ فكأنه جُبل على ذلك ، فقد ذكر ابن العماد عنه[2] « أنه كان يقوم الليل كله فكان يجعل عشاءه قبل الفجر بيسير ولاينام حتى يصبح » .

---

(١) المنتظم ١٩٤/٧ . انظر كتاب الشرح والإبانة والمقدمة للدكتور رضان بن نعسان معطى ص ٣٣ ، ٣٤

(٢) الشذرات ١٢٣/٣

قيام أحمد بن مهدى :

المحدث الأمين ، حليف العبادة والسهر ، أليف السنة والأثر ، كان رحمه الله ذا مال كثير فأنفقه كله على العلم ، نحو ثلاثمائة ألف درهم ، وذكر أنه لم يعرف له فراش أربعين سنة[1] .

قيام عرفجة :

عن خلف بن تميم قال : كان فتى من أهل الكوفة متعبد يقال له عرفجة وكان يحيى الليل صلاة ، فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه فى زيارته فأذنت له ، قالت العجوز : فلما كان من الليل وأنا فى منامى فإذا أنا برجال قد وقفوا علىّ فقالوا يا أم عرفجة : لم أذنت لإمامنا الليلة ؟[2] .

قيام شداد المجذوم :

قال مخلد بن الحسين : كان بالبصرة رجـل يقال له شداد أصابه الجذام فانقطع ، فدخل عليه عوّاده من أصحاب الحسن فقالوا كيف تجدك ؟ قال : بخير ، ما فاتنى حزبى من الليل منذ سقطت ، وما بى إلا أنى لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة[3] .

قيام عابد من عباد الكوفة ... واقتيل جُهَنَّمَاه :

قال منصور بن عمّار : نزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت فى ليلة مظلمة مستحلكة فإذا أنا بصوت شاب يدعو ويبكى وهو يقول : « إلهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرّض ولا بنظرك مستخف ولكن سوّلت لى نفسى فأعانتنى عليها شقوتى ، وغرّنى سترك المرخىّ علىّ ، فقد عصيتك وخالفتك بجهلى ، فإلى من أحتمى ، ومَنْ مِنْ عذابك يستنقذنى ، ومن أيدى زبانيتك من

---

(١) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ٣٩٧ .

(٢) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١٣٥ .

(٣) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١٤٦ .

يخلصنى . ونجبل مَنْ اتصل إذا أنت قطعت حبلك عنى ، واسوءتاه إذا قيل للمُخفّين جوزوا وللمثقلين حطّوا . فياليت شعرى مع المثقلين نحط أم مع المخفّين نجوز وننجوا .. كلما طال عمرى وكبر سنى كثرت ذنوبى وكثرت خطاياى ، فيا ويلى كم أتوب وكم أعود ولا أستحى من ربى ـ واشباباه واشباباه ـ

قال منصور فلما سمعتُ هذا الكلام وضعت فمى على باب داره وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾ الآية . قال منصور ثم سمعت للصوت اضطرابًا شديدًا وسكن الصوت فقلت إن هناك بلية فعَلّمت على الباب علامة ومضيت لحاجتى فلمّا رجعت من الغد إذ أنا بجنازة منصوبة وأكفان تصلح وعجوز تدخل الدار وتخرج باكية ، فقلت يا أمة الله مَنْ هذا الميت منك ؟ قالت : إليك عنى لا تجدد علىّ أحزانى ، قلت : إنى رجل غريب أخبرينى ، قالت والله لولا أنك غريب ما أخبرتك ، هذا ولدى ومن زلّ عن كبدى ومَنْ كنت أظن به سيدعولى مِنْ بعدى ..كان ولدى إذا جن عليه الليل قام فى محرابه يبكى على ذنوبه وكان يعمل هذا الخوص فيقسّمُ كسبه أثلاثًا فثلث يطعمنى وثلث للمساكين وثلث يفطر عليه فمرّ علينا البارحة رجل لا جزاه الله خيرًا فقرأ عند ولدى آية فيها ذكر النار فلم يزل يضطرب ويبكى حتى مات رحمه الله .. قال منصور : هذه صفة الخائفين إذا خافوا السطوة[1] .

قيام الأسود بن يزيد بن قيس « تابعى »

كان رحمه الله يختم القرآن فى غير رمضان فى ست ليال .

قال عمارة : ماكان الأسود إلا راهبًا من الرهبان .

وكان رحمه الله يجهد نفسه فى الصوم والعبادة حتى يخضرّ جسده ويصفرّ ، وكان علقمة يقول له : ويحك لِمَ تُعذّب هذا الجسد فيقول : إنّ الأمرَ جَدّ ، إن الأمر جد .

---

(١) حلية الأولياء جـ١٠ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

وقال علقمة بن مرثد : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد .

لـمَّا احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع فقال : لا أجزع ! ! ومَنْ أحقّ بذلك مني ، والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله عز وجل لأهمّنى الحياء منه بما قد صنعتُ ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحياً منه[1]

قيام أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى : « تابعى » :

عن مغيرة : كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرتُ به الصدر الأوّل .

قال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا إسحاق السبيعى يقول : ذهبت الصلاة منى ، وضعفتُ ورقّ عظمى ، إنى اليوم أقوم فى الصلاة فما أقرأ إلاّ البقرة وآل عمران .

وكان رحمه الله قد ضعف عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يُقام ، فإذا أقاموه فاستتمّ قائماً قرأ ألف آية وهو قائم .

وقال سفيان : كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله وأمّا الشتاء فأوله وآخره . وبين ذلك هجعة .

وقال رحمه الله : ما أقلت عينى غمضاً منذ أربعين سنة ، إذا استيقظت لم أقلها . قال له عون بن عبد الله : ما بقى منك ؟ قال : أصلى فأقرأ البقرة فى ركعة ، قال : ذهب شرّك وبقى خيرك[2] .

قيام حجير بن الربيع العدوى « تابعى » :

قال هلال بن حق : كان حجير بن الربيع يصلى حتى ما يأتى فرشه إلا زحفاً وما يعدّونه من أعبدهم.

---

(١) صفة الصفوة جـ ٣ ص ٢٣ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٣ ص ١٠٤ ، تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ١ ص ١١٥ .

قيام على بن عبدالله بن عبّاس : السجاد... قمر قريش :

قال ابن سعد : كان من أجمل قريش على وجه الأرض.. وكان يدعى السجّاد لكثرة صلاته.

قال مصعب الزبيرى : سمعت رجلاً من أهل العلم يقول : إنما كان سبب عبادته أنه رأى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان وعبادته فقال لأنا أولى بهذا منه وأقرب إلى رسول الله ﷺ وآله وسلم رحما فتجرّد للعبادة.

قال على بن أبى حملة : كان على بن عبد الله يسجد كل يوم ألف سجدة.

وعن أبى سنان : كان على بن عبد الله معنا بالشام وكان يصلى كل يوم ألف ركعة[1].

قيام موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين « موسى الكاظم » :

كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده وكان إمامًا من أئمة المسلمين. قال الخطيب : « روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة فى أول الليل ، وسُمع وهو يقول فى سجوده : عظِم الذنب عندي فليحسن العفو عندك. يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة ، فجعل يرددها حتى أصبح.

● قال عمار بن أبان : حُبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندى ، فسألته أخته أن تتولى حبسه ـ وكانت تدين ـ ففعل ، فكانت تلى خدمته ، فحكى لنا أنها قالت : كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلى حتى يصلى الصبح ، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلى قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلى حتى يصلى العصر ، ثم

---

(١) تهذيب التهذيب جـ٧ ص ٣٥٨.

يذكر فى القبلة حتى يصلى المغرب ، ثم يصلى ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه ، فكانت أخت السندى إذا نظرت إليه قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل وكان عبداً صالحاً[1] .

قيـــام المجاهـــدين

قيام القسيم .. الملك الشهيد
نور الدين محمود زنكى

الملك الشهيد .. قاهر الصليبيين :

قال ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين .

قال عنه الحافظ ابن كثير :

«كان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب .

جمع الشجاعة والخشوع لديه ... ما أحسن الشجعان فى المحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين تكثر القيام فى الليل ، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فأصبحت وهى غضبى فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذى فوّت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة فى القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرًا جزيلاً وجراية كثيرة .

فألبس الله هاتيك العظام وإن ... بُلينَ تحت الثرى عفواً وغفرانا

سقى ثرى أودعوه رحمة ملأت ... مثوى قبورهم روحاً وريحانا[2]

وقال أيضًا الحافظ ابن كثير عن الملك الشهيد :

---

(١) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٣١ .

(٢) البداية والنهاية ١٢/٢٧٩ .

« وكان مدمنا لقيام الليل ، يصوم كثيرا ، مجاهدا فى الفرنج صحيح الاعتقاد » .

وقال عنه أيضًا : « كان كثير الصلاة بالليل ، كثير الابتهال فى الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل فى أموره كلها » .

قال الفقيه : أبو الفتح الأشرى معيد النظامية ببغداد وجامع المختصر فى سيرة نور الدين :

« بلغنا عن جماعة من الصوفية مِمّنْ يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم يقولون : إن القسيم بن القسيم ـ يعنون نور الدين ـ له مع الله سر ، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل ، فإنه يصلى بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا ـ قال ـ فهذا كلام الكفار فى حقه »[1] .

انظروا بربكم إلى كلام أعدائه .. « إنه يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل » .. فضل قيام الليل عرفه حتى الكفار وأقروا به لمن أراد النصر.

ويرحم الله من قال عن الملك الشهيد :

ومدرسة ستدرس كل شيء وتبقى فى حمى علم ونسك
تضوّع ذكرها شرقاً وغرباً بنور الدين محمود بن زنكى

كان رحمه الله يقول فى سجوده : « اللهم ارحم المكّاس العشّار الظالم محمود » .

أما عن شجاعته فيقول ابن كثير : « إنه لم يُر على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان شجاعاً صبوراً فى الحرب ، يضرب المثل به فى ذلك ، وكان يقول : « لقد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لى ذلك ، ولو كان فىّ خير ، ولى عند الله قيمة لرزقنيها والأعمال بالنية » .

---

(١) البداية والنهاية ٢٨٣/١٢ .

وقال له يومًا قطب الدين النيسابورى : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك ، فإنك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد وفسد حال المسلمين ، فقال له : اسكت يا قطب الدين فإن قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ ومن كان يحفظ الدين والبلاد قبلى غير الذى لا إله إلا هو؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضرًا »[1] .

تلك المكارم لا قعبان من لبن وذلك السيف لا سيف بن ذى يزن

أما عن زوجته عصمت الدين بنت معين الدولة كثيرة التهجد ، وأحسن النساء فى عصرها وأعفهن وأكبرهن صدقة ، فقد تزوجت تلميذه صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٧٢ هـ بعد موت أستاذه نور الدين .. وامرأة صالحة كهذه لا تكون تحت إلاّ من هو مثل ابن زنكى وصلاح الدين الأيوبى .

قيام الناصر صلاح الدين بطل حطين وقاهر الصليبيين :

قال القاضى بهاء الدين ـ المعروف بابن شدّاد الذى عاصر صلاح الدين ـ عن بطلنا صلاح الدين :

« وأما الصلاة فإنه كان رحمه الله شديد المواظبة عليها حتى أنه ذكر يومًا أنه من سنين ما صلّى إلاّ جماعة ، وكان يواظب على السنن والرواتب ، وكان له صلوات يصليها إذا استيقظ من الليل ، وإلاّ أتى بها قبل قيام الفجر ، وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم ، وكان خاشع القلب غزير الدمعة ، إذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه فى معظم أوقاته »[2] .

وإن تعْجَبْ فاسمع حديث البطل جملة :

قال صاحب كتاب طبقات الشافعية : « وسمع صلاح الدين الحديث من الحافظ أبى طاهر السلفى ، وأبى الطاهر بن عوف ، والشيخ قطب الدين

---

(١) البداية والنهاية ٢٨٠/١٢ .

(٢) صلاح الدين الأيوبى بطل حطين للشيخ عبد الله ناصح علوان ص ١٤٠ ، ١٤١ . الناشر دار السلام للطباعة والنشر .

النيسابورى وعبد الله بن برى النحوى وجماعة .. وكان فقيهًا يقال : إنه يحفظ القرآن الكريم والتنبيه فى الفقه والحماسة فى الشعر» .

ألا تعجب يا أخى من رجل رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث ، بل يواظب على سماع الحديث حتى أنه يسمع فى بعض مصافه جزء وهو بين الصفّين فكان يتبجح بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع أحد فى مثله حديثا [1] . رحمك الله يا صلاح الدين .

أما عن غيرته وبطولته وجهاده للدفاع عن معاقل الإسلام فهيهات أن تلد النساء مثله :

الجراحات تستغيث وتشكو ملء سمع الوجود قم يا صلاحُ

فصلاح الدين لو كان فى الرعيل الأول لكان آية ، فهم دينه كما فهمه السلف.

لم يعرفوا الدين أوراداً ومسبحة بل أشبعوا الدين محراباً وإيمانا

يقول عنه القاضى بهاء الدين :

«كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال ، وهو كالوالدة الثكلى يجول بفرسه من طلب إلى طلب ، ويحث الناس على الجهاد ، ويطوف بين الأطلاب وينادى : يا للإسلام ! .. وعيناه تذرفان بالدموع ، وكلما نظر إلى عكا ، وما حلّ بها من البلاء ، وما يجرى على ساكنيها من المصاب العظيم ، اشتد فى الزحف ، والحث على القتال ، ولم يطعم فى ذلك اليوم طعامًا ألبتة . وإنما شرب أقداح دواء كان يشير بها الطبيب ، ولقد أخبرنى بعض أطبائه أنه بقى من يوم الجمعة إلى يوم الأحد لم يتناول من الغذاء إلا شيئاً يسيراً لفرط اهتمامه [2] .

وكان إذا سمع أن العدو قد دهم المسلمين ، فكان يُرى ساهراً مهمّاً مغتمّاً ساجداً لله

---

(١) البداية والنهاية ٥/١٣ .

(٢) صلاح الدين الأيوبى ص ١٦٤ .

داعيًا فى سجوده بهذا الدعاء « إلهى قد انقطعت أسبابى الأرضية فى نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والإعتصام بحبلك والإعتماد على فضلك أنت حسبى ونعم الوكيل » ويقول القاضى بهاء الدين : « ورأيته ساجدًا ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجادته ولا أسمع ما يقول ، ولم ينقض ذلك اليوم إلا ويأتيه أخبار النصر على الأعداء »[1] .

وقال مرة للقاضى ابن شداد وهو يركب البحر : « أما أحكى لك شيئًا فى نفسى .. إنه متى يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل قسّمتُ البلاد وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر إلى جزائره ، واتبعتهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت . ثم قلت ـ أى ابن شداد ـ :

ما هذه إلا نية جميلة ولكن المولى يسيّر فى البحر العساكر وهو سور الإسلام ومنعته فلا ينبغى أن يخاطر بنفسه ، فقال : أنا أستفتيك ما أشرف الميتتين ؟ فقلت : الموت فى سبيل الله ، فقال : غاية مافى الباب أن أموت أشرف الميتتين » فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها ، وإلى هذه النفس ما أشجعها ويرحم الله أبا الحسن بن الجوينى حين يقول :

إذا طوى الله ديوان العباد فما ... يطوى لأجر صلاح الدين ديوان

ويرحم الله من قال :

فُتح الشام وطُهِّر القدسُ الذى ... هو فى القيامة للأنام المحشر
يا يوسف الصديق أنت لفتحها ... فاروقها عمر الإمام الأطهرُ
ولأنت عثمان الشريعة بعده ... ولأنت فى نصر النبوة حيدرُ

ويرحم الله من قال :

ونور الدين فى عكا ويافا ... له صول كزمجرة الرعود
ويرفع فى روابيها « صلاح » ... بنود النصر تخفق بالنشيد

---

(١) صلاح الدين الأيوبى ص ١٤٢ .

فيا قدساه .. يا جرحنا الدامى مَنْ من أحفاد الركع السجود الذين تهجدوا وتبتلوا لربهم .. مَنْ من أحفاد الناصر وزنكى لك ، وتُرى يا قدس يرجع الماضى .

صلاح الـدين فى أعماق ينـاديني
ورايـاتى التى طُوِيَتْ على ربوات حطين
وأطفـالى هـنـاك هناك فى عمر الرياحين
وآلاف من الأسرى وآلاف المســـاجين
وصوت مؤذن الأقصى يهيب بنا أغيثونى

رهبان الليل وفرسان النهار :

ما عرف الإسلام أبناءه إلا كذلك ... متهجدين قادة .. سجلوا بأحرف من نور فتوحات تضىء الدنيا من لألاء نورها ..

السلطان المجاهد محمد بن مراد الفاتح فاتح القسطنطينية :

ذلكم السلطان الذى دك صلبان العالم وفتح القسطنطينية وحولّ كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد أيا صوفيا .. ذلكم السلطان تلميذ الشيخ آق شمس الدين ... ذلكم السلطان الذى قاد بنفسه الهجوم على القسطنطينية وقال لجنوده : يا أبنائى ، هاأنا ذا مستعد للموت فى سبيل الله فمن رغب فى الشهادة فيلحق بى .

وقبلها بيوم يسجل لك التاريخ أيها البطل أنك صمت اليوم السابق ليوم الفتح ، وندبت جندك إلى الصيام .. وبعد العشاء الآخرة .. تمضى الساعات بجنودك بين قائم يصلى أو متهجد يبتهل . وتتحدث كتب التاريخ بأنك كنت صوّاماً قواماً :

«كان رضى الله عنه وأرضاه ، صواماً قواماً يجد الأنس والسكينة فى طاعة الله ، كلما حزبه أمر واشتد به عنت ، وكان يقدم بين يدى كل معركة يخوضها

بالإكثار من الطاعات صياماً وقياماً ودعاءً ومناجاة »[1] صدق الشيخ أبو الحسن الندوى حين يقول : على رأس كل حركة جهاد وكفاح شخصية روحية قوية ، وإن التضحية والإيثار والفداء من غير روحانية صافية مشرقة حلم لايتحقق وغاية لا تنال .. وإليك المثال .

الأمير عبد القادر الجزائرى :

هذا الأمير الذى رفع راية الجهاد فى الجزائر ضد الفرنسيين وأطلق الشرارة الأولى فيها ولم يهدأ له بال من عام ١٨٣٢ إلى ١٨٣٧ م حتى أقض مضاجع الفرنسيين وقد أثنى عليه مؤرخو الغرب وعلى شجاعته وعدله ورفقه وعلمه وفضله .

يقول عنه الأمير شكيب أرسلان فى كتابه « حاضر العالم الإسلامى » .. يتحدث عن أيامه فى دمشق :

« وكان كل يوم يقوم الفجر ويصلى الصبح فى مسجد قريب من داره فى محلة العمارة ، لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض ، وكان يتهجد الليل »[2] .

أسد برقة .. ابن السنوسية .. الشيخ الشهيد عمر المختار :

ويذكر لنا التاريخ الزوايا السنوسية ومؤسسها الإمام السنوسى وطلابه وتلاميذه العبّاد المتهجدين المجاهدين ... بلغوا الذروة فى الروحانية والمثل فى التضحية والجهاد ويكفى أن نذكر أن أسد برقة ـ كما يسميه محمد أسد بكتابه « الطريق إلى الإسلام » ـ الشهيد عمر المختار الذى لم يستسلم قط بالرغم من ضراوة أعدائه الذين عرضوا عليه إنقاذ حياته بعد أن أسروه بشرط إعلانه التخلى عن كفاحه ، قال للقائد الإيطالى : « لن أتوقف عن قتالك وقومك حتى تغادروا بلادى أو أفارق حياتى ، وأقسم لك بالله الذى يعلم ما فى القلوب أنه لو لم تكن يداى مغلولتين فى هذه اللحظة بالذات ، إذن لقاتلتك بيدى العزلاء أنا الشيخ

---

(١) السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ص ١٩٣ زياد أبو غنيمة ـ دار الفرقان .

(٢) « ربانية لا رهبانية » للشيخ أبى الحسن الندوى ص ١٢٠ .

المحطم العجوز »[1] .

رهبان فرسان مجهولون :

وكما يسطر لنا التاريخ ويروى عن القادة فهناك رجال الليل وفرسان النهار المغمور ذكرهم ، العبق حديثهم منهم :

سعيد بن الحارث والخالدة :

عن رافع بن عبد الله قال قال لى هشام بن يحيى الكنانى : لأحدثنك حديثاً رأيته بعينى وشهدته بنفسى ونفعنى الله عز وجل به فعسى الله أن ينفعك به كما نعمنى ، قلت : حدثنى يا أبا الوليد قال : غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثلاثين وعلينا مسلمة بن عبد الملك وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك وهى الغزوة التى فتح الله عز وجل فيها الطوانة ، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة فى موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل ، وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون فى جميع الأمور بحيث لا يخلى شيئاً من عبادته ، وما رأيته فى ليل ولا نهار إلا فى حال اجتهاد ، فإن لم يكن وقت الصلاة أوكنا نسير لم يفتر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن ، قال هشام : فأدركنى وإياه النوبة ذات ليلة فى الحراسة ونحن محاصرون حصناً من حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد فى تلك الليلة فى شدة الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسى وعجبت من قوة جسمه على ذلك ، وعلمت أن الله يؤتى الفضل من يشاء . وأصبح كالاً من التعب فقلت له : يرحمك الله إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال : « **اكلفوا من العمل ما تطيقون** » وذكرت له شبه هذا من الأحاديث فقال لى : ياأخى إنما هى أنفاس تعدّ وعمر يفنى وأيام تنقضى ، وأنا رجل

---

(١) التصوف والاتجاه السلفى فى العصر الحديث للدكتور مصطفى حلمى ص ٢٣١ نقلا عن كتاب « الطريق إلى الإسلام لمحمد أسد .

أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي . فأبكانى جوابه ودعوت الله عز وجل له بالعون والتثبيت ، ثم قلت له : نم قليلاً تستريح فإنك لا تدرى ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شيء كنت نشيطاً فنام إلى جانب الخباء . وتفرق أصحابنا فمنهم من هو فى القتال ، ومنهم من هو فى غير ذلك ، وأقمت فى موضعى أحرس رحالهم ، وأصلح لهم طعامهم فأنا كذلك إذ سمعت كلاماً فى الخباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائماً وظننت أن أحداً دخله ولم أره فدخلت فلم أجد أحداً غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم وهو يضحك فى نومه فأصغيت إليه وحفظت من كلامه ما أحب أن أرجع ، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يأخذ شيئاً ثم ردّها بلطف وهو يضحك ثم قال : فالليلة ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد فاحتضنته إلى صدرى مدة وهو يلتفت يميناً وشمالاً حتى سكن وعاد له فهمه وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى فقلت له يا أخى : ما شأنك فقال : خير يا أبا الوليد ، قلت : إنى قد رأيت منك شيئاً وسمعت منك كلاماً فى نومك فحدّثنى بما رأيت . فقال : أوتعفينى من ذلك ، فذكرته حق الصحبة ، فقلت حدّثنى يرحمك الله فعسى الله أن يجعل لى فى ذلك عظة وخيراً . فحدّثه عما رأى فى منامه من قول رجلين له لم ير قط مثل صورتهما كمالاً وحسناً : يا أبا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فى حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم .

وظل سعيد يسرد ما رأى من القصور والحور وترحيبهن به ، والجوارى ، حتى انتهى إلى سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون فقالت له : قد طال انتظارنا إياك ، فقلت لها أين أنا ؟ قالت : فى جنة المأوى . ومن أنت : قالت : أنا زوجتك الخالدة . قال : فمددت يدى إليها فردتها بلطف وقالت : أما اليوم فلا . إنك راجع إلى الدنيا ، فقلت ما أحب أن أرجع . فقالت : لا بد من ذلك وستقيم ثلاثاً ثم تفطر عندنا فى الليلة الثالثة إن شاء الله تعالى . فقلت : فالليلة الليلة ، قالت : إنه كان أمراً مقضياً ، ثم نهضت عن مجلسها ووثبت

لقيامها فإذا أنا قد استيقظت ، قال هشام : فقلت يا أخى أحدِث لله شكراً فقد كشف لك عن ثواب عملك ، فقال لى : هل رأى أحد غيرك مثل ما رأيت منى ، فقلت لا . فقال : أسألك بالله عز وجل إلا سترت علىّ مادمت حيًا فقلت نعم . فقال : ما فعل أصحابنا فقلت : بعضهم فى القتال وبعضهم فى الحوائج فقام فتطهر واغتسل ومسّ طيبًا وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل ، وانصرف أصحابه وهو فيهم ، فقالوا لى : يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئًا ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت فى نفسى لو تعلمون شأنه لتنافستم فى مثل صنيعه ، قال : وأفطر على شىء من الطعام وبات ليلته قائماً وأصبح صائماً فصنع كصنيعه بالأمس ، وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثل ما ذكروه بالأمس ، حتى إذا كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان انطلقت معه وقلت لابد أن أشهد أمره وما يكون منه ، فلم يزل يلقى نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شىء وهو يؤثر فيهم الآثار ، وأنا أرعاه من بعيد لا أستطيع الدنو منه ، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع فى نحره فخر صريعًا وأنا أنظر إليه ، فصحت بالناس فابتدروه واجتذبوه وبه رمق وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له : هنيئاً لك بما تفطر عليه الليلة ياليتنى كنت معك . فعضّ شفته السفلى ، وأومأ إلىّ ببصره وهو يضحك يعنى اكتم أمرى حتى أموت .

ثم قال : الحمد لله الذى صدقنا وعده فوالله ما تكلم بشىء غيرها ، ثم قضى رحمه الله عليه قال هشام : فقلت بأعلى صوتى : يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون ، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا ، فاجتمع الناس إلىّ فحدّثتهم بالحديث على وجهه فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكيًا ، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر ، وأقبلوا للصلاة عليه ، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك

فقال : يصلى صاحبه الذى عرف من أمره ما عرف قال هشام : فصليت عليه ودفناه فى موضعه ، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضاً ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيات مجددة وقلوب مشتاقة إلى لقاء الله عز وجل فما أضحى النهار حتى فتح الله الحصن ببركته رحمه الله تعالى[1] .

رحمة الله على تلك الأنفس المتهجدة .. المشتاقة إلى الحور .. إن أحدهم يداعب جرحه الصغير فيقول : إنك لصغير وقد يبارك الله فى الصغير فيصبح كبيرًا يتمنى أن يلقى ربه شهيدًا وقد بات ليله متهجدًا ..

كم شهيد مضى على خفقات ... من صلاة بجوف ليل قانى
كم شهيد مضى فخفّت له الحو ... ر بشرى عرائس وغوانى
صنعتهم من الكتاب تراتيـ ... ـل قيام بمدمع هتان
فمضيتم معالماً فى طريق ... ومنارًا للتائه الحيران

الشجاعة تُسقى بدمع التهجد :

انظر رحمك الله إلى عبّاد بن بشر وسيرته .

وإلى سالم مولى أبى حذيفة الذى مرّ تهجده ـ خشى الصحابة أن يهزموا لمّا حمل لواء المهاجرين فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره فقطعت يساره ، فاعتنق اللواء وهو يقول ﴿**وما محمد إلا رسول**﴾[2] ، ﴿**وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير**﴾[3، 4] .

● وقد مـرّ بك تهجد عمرو بن عتبة بن فرقد فانظر إلى طرف من شجاعته وجهاده .

---

(١) فضائل الجهاد المسمى فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق اختصار الشيخ محمود العالم ص ٨٦ ـ ٩٠ طبع مكتبة القاهرة .

(٢) الآية ١٤٤ من آل عمران .

(٣) الآية ١٤٦ من آل عمران .

(٤) «كتاب الجهاد» للإمام عبد الله بن المبارك ص ١٠٢ ـ سلسلة البحوث الإسلامية .

خرج رحمه الله فى غزاة كان فيها أبوه فلبس جبة بيضاء وهو يقول ما أحسن حمرة الدم على البياض ، فسمع أبوه ذلك ، فقال : أقسمت عليك لتنزلن . قال : فنزل ، ثم اعتزل عن الصف ، فقام يصلى ، فجعل يدعو ، فالتفت إليه عتبة فقال لمن معه : هذا عمرو يستشفع علىّ بربه ، اركب يابنى إن شئت فركب ... ومرّوا بمرج حسن فقال عمرو : ما أحسن هذا المرج ، وما أحسن هذا الآن لو أن مناديًا نادى : يا خيل الله اركبى ، فما كان أسرع من أن نادى المنادى : يا خيل الله اركبى .. وأصيب عتبة بجرح صغير .. فقال : والله إنك لصغير ، وإن الله عز وجل ليبارك فى الصغير ، دعونى فى مكانى هذا حتى أمسى ، فإن أنا عشت فارفعونى ، فمات شهيدًا فى مكانه ذلك[1] .

● وصلة بن أشيم الذى أحيى ليلة بنائه إلى الصباح شهدته ساحات الوغى مجاهدًا . خرج غازيًا هو وابنه فقال صلة لابنه : يا بنى إلى أمك . فقال ابنه : يا أبت ، أتريد الخير لنفسك ، وتأمرنى بالرجعة ، أنت والله كنت خيراً لأمى منى . قال : أمَّا إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم ، فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده ، وكان رجلًا راميًا حتى تفرقوا عنه ، وأقبل يمشى حتى قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل[2] .

قيام الصحابى الجليل أبى رفاعة العدوى تميم بن أسد :

قال ابن عبد البر كان من فضلاء الصحابة بالبصرة قتل بكابل سنة أربع وأربعين[3] .

كان أبو رفاعة إذا صلّى وفرغ من صلاته ودعا ، كان فى آخر ما يدعو به : اللهم أحينى ماكانت الحياة خير لى ، وإذا كانت خيرًا لى ، فتوفّنى وفاة طاهرة

---

(١) كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك ص ١١٤ - ١١٧ .
(٢) كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك ص ١٢٩ .
(٣) الإصابة جـ ٤ ص ٧١ .

طيبة يغبطنى بها من سمع بها من إخوانى المسلمين من عفتها وطهارتها وطيبها . واجعله قتلاً فى سبيلك ، واجدعنى[١] عن نفسى . قال : فخرج فى جيش عليهم عبد الرحمن بن سمرة ، فخرجت من ذلك الجيش سرية ، عامتهم من بنى حنيفة ، فقال : إنى منطلق مع هذه السرية . قال أبو قتادة : ليس ههنا أحد من بنى ... ، ليس فى رحلك أحد . قال : إن هذا الشىء قد عزم لى عليه ، إنى لمنطلق . فانطلق معهم ، فأطافت السرية بقلعة فيها العدو ليلاً ، وبات يصلى ، حتى إذا كان من آخر الليل توسَّد ترسه فنام فأصبح أصحابه ينظرون من أين يأتون ، من أين يأتونها ، ونَسَوْه نائماً حيث كان ، فبصر به العدو وأنزلوا عليه ثلاثة أعلاج[٢] منهم ، فأتوه فأخذوا سيفه ، فقال أصحابه : أبو رفاعة نسيناه حيث كان فرجعوا إليه ، فوجدوا الأعلاج يريدون أن يسلبوه فأزاحوهم عنه واجتروه ، فقال عبد الله بن سمرة ، ما شعر أخو بنى عدى بالشهادة حتى أتـــتـــه[٣] .

وكان أبو رفاعة يقول : ماغزبت[٤] عنى سورة البقرة منذ علمّنيها الله عز وجل ، أخذت معها ما أخذت من القرآن ، وما رفعت ظهرى من قيام ليلى قط ، وكان يسخن لأصحابه الماء فى السفر فيقول : أحسنوا الوضوء من هذا ، وسأحسن أنا من هذا ، فيتوضأ البارد[٥] . وصدق القائل إذا يقول :

والليل يعرفهم عباد هجعته والحرب تعرفهم فى الروع فرسانا

---

(١) أى اقطعنى . (مقاييس اللغة ١/٤٣٢) .

(٢) جمع علج وهو الرجل القوى الضخم ، وقد يراد بالعلج الرجل من كفار العجم وغيرهم « النهاية ٣/١٢١» .

(٣) كتاب الجهاد ص ١٣٢ .

(٤) ما غابت عن علمى . (لسان العرب ١/٥٩٦) .

(٥) كتاب الجهاد ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

ابن قدامة صاحب المغنى شيخ الحنابلة :

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية « ما دخل الشام بعد الأوزاعى أفقه من الشيخ الموفق » قال الحافظ عمر بن الحاجب فى معجمه : كان مجلسه عامرًا بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير . وصار فى آخر عمره يقصده كل أحد . وكان كثير العبادة دائم التهجد لم ير مثله ولم يرهو مثل نفسه »[1] .

قال عنه ابن بدران : كان متعبدًا يغلب عليه الاشتغال بالعلم والفقه . وقال سبط ابن الجوزى : « من رآه كأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه . كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعًا من القرآن ولا يصلى السنة إلا فى بيته » .

الحافظ الذهبى :

« الحافظ الهمام مفيد الشام ومؤرخ الإسلام » كما يقول عنه ابن ناصر الدين .. سيد الحفاظ وإمام المحدثين ..

شرب العسقلانى من زمزم ودعا الله أن يرزقه منزلة الذهبى فى الحديث وكفى فى هذا مدحًا له وشرفًا .

مازلت بالسمع أهواكم وما ذكرت أخباركم قط إلا ملت من طرب
وليس من عجب إن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

قال عنه تلميذه : تقى الدين ابن رافع السلامى : « كان خيرًا صالحًا متواضعًا حسن الخلق حلو المحاضرة ، غالب أوقاته فى الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة . له ورد بالليل وعنده مروءة وعصبية وكرم »[2] .

---

(١) ترجمة ابن قدامة للشيخ ابن بدارن من مقدمة روضة الناظر وشرحها نزهة الخاطر العاطر ص ٥٢٤ طبع مكتبة المعارف .

(٢) انظر رونق الألفاظ الورقة ١٨٠ لسبط ابن حجر .. النقل من كتاب « الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام للدكتور بشار عواد معروف ص ١٣٢ .

الحافظ العراق شيخ ابن حجر العسقلانى : أستاذ الأئمة :

«كان لا يترك قيام الليل ، بل صار له كالمألوف ، وكان كثير التلاوة إذا ركب » قال ابن حجر « وقد لازمته ، فلم أره ترك قيام الليل بل صار كالمألوف » . إمام وجبل فى الحفظ والحديث ولا يترك قيام الليل [1] وهذا درس لطلبة العلم الذين يهملون العبادة وليقرأوا عن عبادة الخطيب البغدادى أيضاً .

قيام الحافظ نور الدين الهيثمى صاحب « مجمع الزوائد » :

تلميذ الحافظ العراقى وزوج ابنته :

قال له ابن حجر العسقلانى : « وكان كثير الاستحضار للمتون ، يسرع الجواز بحضرة الشيخ فيعجب الشيخ ذلك ، وكان تزوّج إبنة الشيخ ورزق منها أولاده ، **وقد** عاشرتهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل » .

طلاب الحديث : انظروا إلى حرص الحافظ ابن حجر فى ترجمته لشيخه والهيثمى على التنويه بعدم تركهما لقيام الليل « واسمعى يا جارة »[2] .

قيام أستاذ الأستاذين الحافظ ابن حجر صاحب « فتح البارى شرح صحيح البخارى » :

بفتح البارى انشرح صدر البخارى .

«كان ملازماً لقيام الليل وسنة الضحى ويسرد الصوم ، وواظب أخيراً على صوم يوم وإفطار يوم ، وكان كثير البر الفقراء »[3] .

قيام الإمام الشيرازى أبى إسحاق المتوفى سنة ٤٧٦ هـ :

حبر المسلمين فى زمانه .

غسّله إمام الحنابلة ابن عقيل .

---

(١) مقدمة تعليق التعاليق دراسة وتحقيق سعيد بن عبد الرحمن موسى القزق ص ١٣٧ طبع المكتب الإسلامى .

(٢) مقدمة تعليق التعاليق ص ١٤٢ .

(٣) مقدمة تعليق التعاليق ص ٦٠ .

كان إذا جاءه الليل يقوم يناجي رب العالمين جل وعلا بالصلاة والقرآن والذكر وبأبيات رقيقة من نظمه فيقول :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاى ما أجد

وقلت يا عدتى فى كل نائبة ومَنْ عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدى بالذل معترفاً إليك يا خير مَنْ مُدَّت إليه يد
فلا تردنها يارب خائبة فبحر جودك يروى كل من يرد

يردد هذا ويبكى عليه رحمه الله[1]

عباد آخرون

رياح بن عمرو القيس :[2]

قال محمد بن الحر بن عبد ربه القيسى وكان ذا قرابة لرياح :

«كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكى ، وأدخل عليه البيت وهو يبكى وآتيه فى الجبان وهو يبكى فقلت له يوماً : أنت دهرك فى مأتم فبكى ثم قال : يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا» .

وكان يبكى ويقول ، إلى كم يا ليل يا نهار تحطّان من أَجَلى وأنا غافل عما يراد بى .

قال محمد بن مسعر : كان لرياح القيسى غل من حديد قد اتخذه وكان إذا جنّه الليل وضعه فى عنقه وجعل يتضرع ويبكى حتى يصبح .

---

(١) شريط قيام الليل للشيخ الطحان .

(٢) رياح بن عمرو القيسى : تكلم فيه الحافظ ابن حجر العسقلانى ووصفه بأنه من زهاد المبتدعة . ولقد أثنى عليه الشيخ الطحان فى شريط قيام الليل ، وأثنى كذلك على زوجته .

« وعن عثمان قال : أخبرتني مخة وكانت إحدى العوابد قالت : رأيت رياح بن عمرو القيسي ليلة خلف المقام فذهبت فقمت خلفه حتى أزحفت ، ثم اضطجعت وهو قائم وأنا أنظر إليه فقلت بصوت حزين : سبقني العابدون وبقيت وحدي والف نفساه ، فإذا رياح قد شهق وانكبّ على وجهه مغشياً عليه ، فامتلأ فمه رملاً فما زال كذلك حتى أصبحنا ثم أفاق[1]

وبعد يا أخي فهذي قطرة من بحر.. وهذي نفحة من شذى سيرتهم ..كلهم يصندق فيهم قول الشيخ صلاح الدين أبو عيسى المقدسي لمارثى الموفق ابن قدامة :

قد كنت عبدا طائعا لا تنثني عن باب ربك فى العبادة توسع
كم ليلة أحييتها وعمرتها والله ينظر والخلائق هجع
تتلو كتاب الله فى جنح الدجى إكـزبور داود النبى ترجّع

(١) صفة الصفوة ٣/٣٦٧ ـ ٣٦٩ .

• قيام عثمان بن مظعون رضي الله عنه :

قال الذهبي : « من سادة المهاجرين ، ومن أولياء المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم فصلى عليهم ، وكان أبو السائب رضى الله عنه أول من دفن بالبقيع »[١].

عن أبي بردة : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى ﷺ فرأينها سيئة الهيئة ، فقلن لها : ما لك ؟ فما في قريش أغنى من بَعْلك ! قالت : أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم ، فلقيه النبى ﷺ فقال : « أما لك بي أسوة » الحديث[٢] قال : فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس .

غلبت عليه العبادة من صيام وقيام حتى همّ أن يختصى .

قال سعيد بن المسيب : سمعت سعدًا يقول : « رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا »[٣].

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت ، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون[٤].

عن أبي النضر قال : لما مُرّ بجنازة عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ : « ذهبت ولم تَلَبّس منها بشيء »[٥].

---

(١) « الاستيعاب » ٦٣/٨ و« الإصابة » ٣٩٥/٦ ، سير أعلام النبلاء ١٥٤/١ .

(٢) رجاله ثقات أخرجه ابن سعد وعبد الرزاق .

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي .

(٤) الحديث حسن بشواهده : أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وقال الترمذي : حديث صحيح ، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي ، وفيه « عاصم بن عبيد الله » وهو ضعيف ، لكن الحديث حسن بشواهده عند البزار من حديث معاذ بن ربيعة .

(٥) أخرجه مالك في الجنائز مرسلا . وقال الزرقاني : وصله ابن عبد البر من طريق يحيى بن سعيد ، عن القاسم عن عائشة .

تميم الداري :

عن المنكدر بن محمد عن أبيه : أن تميما الداريّ نام ليلة لم يقم يتهجد ، فقام سنة لم ينم فيها ، عقوبة للذي صنع[١] .

عبد الله بن رواحة :

قال عبد الله بن رواحة :

أفلح من يعالجُ المساجدا ويقرأ القرآن قائما وقاعد
ولا يبيت الليل عنه راقدا[٢]

● قال سهل بن أساف في صفة الصحابة :

رجال من الأحباب تاهت نفوسهم ينادونه خوفا ويدعونه قصدا
وقاموا بليل والظلام مُغَلِّلُ إلى منزل الأحباب فاستعملوا الكدَّا
يحثون حثّ الشوق نحو مليكهم وقصدهم الفردوس كي يرزقوا الخلدا
أولئك قوم في العبادة أخلصوا فتاهوا به شوقا وماتوا به وجدا

● قيام سهيل بن عمرو رضي الله عنه :

خطيب قريش ، وفصيحهم ، ومن أشرافهم .

تأخر إسلامه إلى يوم الفتح ، ثم حسن إسلامه . كان سمحًا جوادًا مفوّهًا . وقد قام بمكة خطيبًا عند وفاة رسول الله ﷺ ، بنحو من خطبة الصدّيق بالمدينة ، فسكّنهم وعظم الإسلام .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٢ ، تهذيب ابن عساكر ٣٥٩/٣ وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » .
(٢) شعر الدعوة الإسلامية لعبد الله بن حامد الحامد – كلية اللغة العربية بالرياض .

قال الزبير بن بكار : كان سهيل بعدُ كثير الصلاة والصوم والصدقة ، خرج بجماعته إلى الشام مجاهدا ، ويُقال : إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغيّر ، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن . وكان أميرا على كردوس يوم اليرموك .

قال المدائني وغيره : استشهد يوم اليرموك . وقال الشافعي : مات في طاعون عمواس[1] .

• قيام أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه صاحب النبى ﷺ :

قال البخاري : اسمه جُرهم ويقال : جرثوم بن ناشم . وهو من أهل بيعة الرضوان . وأسهم له النبي ﷺ يوم خيبر ، وأرسله إلى قومه .

قال أبو الزاهرية : سمعت أبا ثعلبة يقول : إني لأرجو ألّا يخنقني الله كما أراكم تخنقون . فبينا هو يصلى في جوف الليل ، قبض وهو ساجد فرأت بنته أن أباها قد مات ، فاستيقظت فزعة ، فنادت أمها أين أبي ؟ قالت : في مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فأنبهته فوجدته ميتا »[2] .

• قيام راهب قريش « أبي بكر بن عبد الرحمن » :

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي ، أحد الفقهاء السبعة . كان صالحا عابدا متألها ، وكان يقال له:راهب قريش[3] .

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٩٤/١ ، ١٩٥ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٥٧٠/٢ – ٥٧١ ، الإصابة .

(٣) تذكرة الحفاظ ٦٣/١ – ٦٤ .

- **قيام عمرو بن ميمون الأودي :**

كـان إذا رُئى ذُكر الله تعالى .

قال إبراهيم : كان عمرو بن ميمـون لمّا كبر أوتد له في الحائط ، فإذا سئم من القيام لله تعالى ، استعان بالوتد[1] .

- **قيام يزيد بن الأسود الجرشي :**

من سادة التابعين بالشام . أسلم في حياة النبي ﷺ . قيل:إنه قال : قلت لقومي : اكتبوني في الغزو . قالوا : قد كبرت . قال : سبحان الله ، اكتبوني فأين سوادي في المسلمين ؟ قالوا : أما إذِ فعلت ، فأفطر وتقوّ على العدو ، قال : ما كنت أراني أبقى حتى أعاتب في نفسي . والله لا أشبعها من الطعام ، ولا أوطئها من منام حتى تلحق بالله[2] .

عن سليم بن عامر قال : خرج معاوية يستسقي، فلما قعد على المنبر، قال : أين يزيد بن الأسود ؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطّاهم . فأمره معاوية ، فصعد المنبر ، فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود ، يا يزيد ، ارفع يديك إلى الله . فرفع يده ورفع الناس فما كان بأوشك من أن ثارت سحابة كالترس ، وهبّت ريح فسُقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم .

عن عبد الله بن يزيد قال : حدثني بعض المشيخة أن يزيد بن الأسود كان يسير في أرض الروم هو ورجل ، فسمع هاتفا يقول : يا يزيد ، إنك لمن المقربين ، وإن صاحبك لمن العابدين ، وما نحن بكاذبين[3] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٦٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/١٣٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/١٣٧ .

• **سعيد بن المسيب :**

عن ابن حرملة ، قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال : ما أدري ، إنه ليصلي صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ بـ ﴿ **صٓ والقرآن ذي الذكر** ﴾[1].

قال عاصم بن العباس الأسدي : « وكان سعيد بن المسيب يُذكِّر ويُخوِّف . وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيُكثر ، وسمعته يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وكان يحب أن يسمع الشعر ، وكان لا ينشده ، ورأيته يمشي حافيا »[2] .

• **قيام أبي رجاء العُطَاردي :**

الإمام الكبير ، شيخ الإسلام ، عِمْرَان بن مِلحان التميمي ، من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النبي ﷺ .

قال ابن الأعرابي : كان أبو رجاء عابدا ، كثير الصلاة وتلاوة القرآن ، كان يقول : ما آسى على شيء من الدنيا إلَّا أن أعفِّر في التراب وجهى كل يوم خمس مرات . وكان يختم بالناس في قيام رمضان لكل عشرة أيام[3] .

• **قيام أبي جعفر الباقر :**

الإمام سيد بنى هاشم في وقته محمد الباقر بن على بن الحسين شُهر بالباقر مِنْ : بَقَر العلمَ ، أي شَقَّه فعرف أصله وخفِيَّه . ولقد كان أبو جعفر إمامًا مجتهدًا تاليًا لكتاب الله ، كبير الشأن .

---

(١) الطبقات ١٣٢/٥ .

(٢) يمشي حافيا أحيانا وهذا من هدي رسولنا ﷺ . سير أعلام النبلاء ٢٤٠/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٤ – ٢٥٧ .

قال عبد الله بن يحيى : رأيت على أبي جعفر إزارا أصفر ، وكان يُصلى كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة .

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل : بلغنا أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة .

قال فيه مالك بن أعْيَن :

إذا طلب الناسُ علم القــرآ ن كانت قريش عليه عيـالا
وإن قيل : أين ابن بنت الرسو ل نِلتَ بذلك فَرْعا طُـوالا
نجوم تُهَلِّـــلُ للمُدلجيـــــنَ جبـالٌ تُـوَرِّثُ عِلْمـاً جبـالا[1]

عنه قال : أتاني جابر بن عبد الله ، وأنا في الكتاب . فقال لي : اكشف عن بطنك ، فكشفت، فألصق بطنه ببطني ، ثم قال : أمرني رسول الله أن أقرئك منه السلام .

• قيام عاصم بن سليمان الأحول :

الحافظ قاضي المدائن :

قال الثوري : حفاظ الناس أربعة : إسماعيل بن أبي خالد ، وعاصم الأحول ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعبد الملك بن سليمان ، وأبَىَ أن يجعل الأعمش معهم .

قال محمد بن عباد : أنا أبي قال : ربما كان عاصم الأحول صائما فيفطر ، فإذا صلى العشاء تنحّى يصلى فلا يزال يصلى حتى يطلع الفجر[2] .

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠١/٤ – ٤٠٥ ، تذكرة الحفاظ ١٢٤/١ .
(٢) تذكرة الحفاظ ١٤٩/٤ – ١٥٠ .

• **قيام الوليد بن عبد الملك :**

الخليفة الأموي .

فتح بَوّابة الأندلس ، وبلاد الترك ، وكان لُحَنة ، وحرص على النحو أشهرا ، فما نفع ، وغزا الروم مرات في دولة أبيه ، وكان فيه عسف وجبروت وقيام بأمر الخلافة ، وقد فرض للفقهاء والأيتام والزمنى والضعفاء وضبط الأمور . فالله يسامحه .

قيل : كان يختم في كل ثلاث ، وختم في رمضان سبع عشرة ختمة وكان يقول : لولا أن الله ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحدًا يفعل ذلك[1] .

• **الضحّاك بن مزاحم :**

صاحب التفسير :

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء « كان من أوعية العلم ، وليس بالمجوِّد لحديثه ، وهو صدوق في نفسه » .

عن قيس بن مسلم : كان الضحّاك إذا أمسى بكى فيقال له ، فيقول : لا أدري ما صعد اليوم من عملي[2] .

• **قيام طَلْق بن حبيب العَنَزِيّ :**

من العلماء العاملين .

قال ابن الأعرابي : كان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وحلْم مسلم بن يسار ، وعبادة طلق .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٤٧/٤ – ٣٤٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٩٩/٤ – ٦٠٠ .

قال ابن عيينة : سمعت عبد الكريم يقول : كان طلق لا يركع إذا افتتح سورة « البقرة » ، حتى يبلغ « العنكبوت » ، وكان يقول : أشتهى أن أقوم حتى يشتكى صلبي .

وعن أيوب : ما رأيت أحدًا أعبد من طلق بن حبيب.وعن غندر قال: حدثنا عوف، عن طلق بن حبيب أنه كان يقول في دعائه : « اللهم إني أسألك علم الخائفين منك ، وخوف العالمين بك ، ويقين المتوكلين عليك ، وتوكل الموقنين بك ، وإنابة المخبتين إليك ، وإخبات المنيبين إليك ، وشكر الصابرين لك ، وصبر الشاكرين لك ، ولحاقا بالأحياء المرزوقين عندك » .

عن ابن أبي نجيح : لم يكن ببلدنا أحد أحسن مداراة لصلاته من طلق بن حبيب[1] .

• قيام وهب بن مُنَبِّه :

الإمام العلامة الأخباري القصصي أخى همام بن منبه .

قال العجلي وأبو زرعة والنسائي : ثقة . له حديث واحد في الصحيحين .

عن كثير أنه سار مع وهب ، فباتوا بصَعْدة عند رجل ، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحا ، فاطلع صاحب المنزل فنظر إليه صافا قدميه في ضياء كأنه بياض الشمس ، فقال الرجل : رأيتك الليلة في هيئة ؛ وأخبره فقال : اكتم ما رأيت .

عن المثنى بن الصباح قال : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠١/٤ - ٦٠٣ ؛ حلية الأولياء ٦٣/٣ - ٦٤ .

وعن عبد الصمد بن معقل بن منبه قال : صحبت عمى وهبا أشهرا يصلى الغداة بوضوء العشاء .

وعن مسلم الزنجي : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش ، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءاً .

وعن عبد الرزاق بن همام عن أبيه ، قال : رأيت وهبا إذا قام في الوتر قال : « لك الحمد السرمد ، حمدا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما ينبغي لك أن تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا حق » .

وعن عبد الرزاق قال : سمعت أبي يقول : حجّ عامة الفقهاء سنة مئة ، فحج وهب ، فلما صلوا العشاء ، أتاه نفر فيهم عطاء والحسن ، وهم يريدون أن يذاكروه القدر ؛ قال : فافتنَّ في باب من الحمد ، فما زال فيه حتى طلع الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء[1] .

رحمك الله يا وهب . تحمد مولاك من العشاء إلى الفجر .

• **ثابت البناني :**

قال حماد بن سلمة : قرأ ثابت : ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلًا** ﴾ [الكهف : ٣٧] وهو يصلي صلاة الليل وينتحب ويرددها .

قال بكر المزني : من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني ، فما أدركنا الذي هو أعبد منه .

وقال حماد بن زيد : رأيت ثابتا يبكى حتى تختلف أضلاعه[2] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤ – ٥٥٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٤ – ٢٢٥ .

• قيام أبي جعفر القارى :

يزيد بن القعقاع المدنى أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات .

قال نافع القارىء : كان أبو جعفر يقوم الليل ؛ فإذا قرأ يَنْعُس ، فيقول لهم : ضعوا الحصى بين أصابعي وضموها ، فكانوا يفعلون ذلك ، والنوم يغلبه فقال : إذا نمت ، فمدوا خصلة من لحيتي . قال : فمرّ به مولاه ، فيرى ما يفعلون به . فيقول : أيها الشيخ ، ذهبت بك الغفلة ، فيقول أبو جعفر : هذا في خلقه شيء ، دوروا بنا وراء القبر .

عن نافع ، قال : « لما غُسِّل أبو جعفر ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف ، فما شك من حضره أنه نور القرآن »[1] .

رحمك الله من صاحب قرآن وصاحب ليل .

• عابد وقصته مع ابن المنكدر :

قال محمد بن المنكدر : «إني لليلة مواجه هذا المنبر في جوف الليل أدعو ، إذا إنسان عند اسطوانة مقنع رأسه ، فأسمعه يقول : أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك ، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم ، قال : فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ، ثم أرسلها الله ، وكان عزيزا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير ، فقال : هذا بالمدينة ولا أعرفه !! فلما سلم الإمام تقنع وانصرف واتبعه ، ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس ، فدخل موضعا ، ففتح ودخل . قال : ورجعت ، فلما سبحت[2] ، أتيته ، فقلت : أدخل ؟ قال : ادخل ، فإذا هو يُنَجِّر أقداحا ، فقلت : كيف أصبحت

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) في حلية الأولياء ٣/١٥١ - ١٥٢ ، وقوله : فلما سبحت أي : صليت الضحى .

أصلحك الله ؟ قال : فاستشهرها وأعظمها مني ، فلما رأيت ذلك ، قلت : إني سمعت إقسامك البارحة على الله ، يا أخى هَلْ لك في نفقة تغنيك عن هذا ، وتُفرِّغك لما تريد من الآخرة ؟ قال : لا . ولكن غير ذلك ، لا تذكرني لأحد ، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ، ولا تأتني يا بن المنكدر ، فإنك إن تأتني شهرتني للناس ، فقلت : إني أحب أن ألقاك قال: القني في المسجد ، قال : وكان فارسيًا ، فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل.

قال ابن وهب : بلغني أنه انتقل من تلك الدار ، فلم يُر ، ولم يُدر أين ذهب . فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل الصالح[1] .

الأتقياء الأخفياء إذا طُلبوا هربوا ... ماذا عليهم ألا يعرفهم أهل الأرض ... وهم سادة عند أهل السماء .

- **قيام كُرْز بن وبرة الحارثي :**

الزاهد القدوة . كان له الصيت البالغ في النسك والتعبد .

عن محمد بن فضيل ، عن أبيه قال : دخلت على كرز بيته ، فإذا عند مصلاه حفيرة قد ملأها تبنا وبسط عليها كساء من طول القيام ، فكان يقرأ في اليوم والليلة القرآن ثلاث مرات .

وعن ابن فضيل عن أبيه : أن كرزا كان له عود عند المحراب يعتمد عليه إذا نعس .

وعن فضيل بن غزوان : كان كرز يصلى حتى ترم قدماه ، فيحفر الحفيرة – يعني : تحت رجليه .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥٦/٥ – ٣٥٧ .

وقال أبو سليمان المُكتب : صحبت كرزا إلى مكة ، فاحتبس يوما وقت الرحيل ، فانبثوا في طلبه ، فأصبته في وَهْدَة يُصلى في ساعة حارة ، وإذا سحابة تظله ، فقال لي : اكتم هذا واستحلفني .

وعن أبي حفص السائح عن أبي بشر قال : كان كرز بن وبرة من أعبد الناس ، وكان قد امتنع من الطعام ، حتى لم يوجد عليه من اللحم ، إلا بمقدار ما يوجد على العصفور ، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يمينا ولا شمالا ، وكان من المحبين المخبتين لله ، قد وله من ذلك ، فربما كُلّم فيجيب بعد مدة من شدة تعلق قلبه بالله واشتياقه إليه .

قال الذهبي في ترجمة كرز : « هكذا كان زهاد السلف وعبادهم ، أصحاب خوف وخشوع ، وتعبد وقنوع ، ولا يدخلون في الدنيا وشهواتها ، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء ، والمحو ، والاصطلام ، والاتحاد ، وأشباه ذلك ، مما لا يسوغه كبار العلماء » .

أنشد ابن شبرمة :

لو شئت كُنت ككرز في تعبده ... أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ... وسارعا في طلاب الفوز والكرم[1]

• قيام ربيعة بن أبي عبد الرحمن ... ربيعة الرأى :

الإمام مفتي المدينة ، وعالم الوقت . كان من أئمة الاجتهاد .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : مكث ربيعة دهرًا طويلًا عابدًا ، يصلي الليل والنهار ، صاحب عبادة ، ثم نزع ذلك إلى أن جالس القوم ، قال : فجالس القاسم ، فنطق بلب وعقل .

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٨٤ - ٨٦ .

قال مالك : ذهبت حلاوة الفقه ، منذ مات ربيعة وكان يحيى بن سعيد يجالس ربيعة ، فإذا غاب ربيعة ، حدّثهم يحيى بن سعيد أحسن الحديث . وكان كثير الحديث ، فإذا حضر ربيعة ، كفّ يحيى إجلالًا لربيعة ، وليس ربيعة أسنّ منه ، وهو فيما هو فيه ، وكان كل واحد منهما مبجلا لصاحبه[1] .

- **عطاء بن السائب :**

محدث الكوفة . كان من كبار العلماء ، لكنه ساء حفظه قليلا في أواخر عمره .

قال أبو بكر بن عياش : كنت إذا رأيت عطاء بن السائب وضرار بن مرّة رأيت أثر البكاء على خدودهما[2] .

- **شيخ الإسلام سليمان بن طرْخان التيمي :**

أبو المعتمر الإمام .

قال ابن سعد : « من العباد المجتهدين ، كثير الحديث ثقة ، يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة ، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان في هذا المسجد مرة ، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا » .

وعن محمد بن عبد الأعلى قال لي معتمر بن سليمان : لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي . مكث أبي أربعين سنة يصوم يوما ، ويفطر يوما ، ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩٢/٦ ، تذكرة الحفاظ ١٥٧/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٠/٦ - ١١٢ .

عن معاذ بن معاذ قال : كنتُ إذا رأيت التيمي كأنه غلام حدث ، قد أخذ في العبادة . كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي .

عن مثنى بن معاذ عن أبيه قال : ما كنت أشبه عبادة سليمان التيمي إلا بعبادة الشاب أول ما يدخل في تلك الشدة والجدة .

عن يحيى القطان قال : خرج سليمان التيمي إلى مكة ، فكان يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة .

روى المسيب بن واضح عن عبد الله بن المبارك أو غيره ، قال : أقام سليمان التيمي أربعين سنة إمام الجامع بالبصرة يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد .

وعن حماد بن سلمة قال : لم يضع سليمان التيمي جنبه بالأرض عشرين سنة[1] .

• قيام عمران بن مسلم :

القصير الرباني ، العابد أبي بكر البصري .

يروى عنه أنه عاهد الله تعالى ألَّا ينام إلا عن غلبة[2] .

• قيام الحارث بن يعقوب بن عبد الله :

من فضلاء التابعين وعبادهم .

كان الحارث ربما أحيى الليل صلاة . وكان أبوه يعقوب من العابدين أيضا . وابنه عمرو بن الحارث عالم الديار المصرية ومفتيها .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩٥/٦ - ٢٠٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢٥/٦ .

عن شعيب بن الليث عن أبيه قال : كان بين عمرو بـن الحارث وبين أبيه الحارث بن يعقوب كما بين السماء والأرض في الفضل . فالحارث أفضل . وكان بينه وبين أبيه يعقوب في الفضل كما بين السماء والأرض[1] .

• قيام أبي شُجاع القِتْبَاني :

الإمام القدوة بركة الوقت سعيد بن يزيد الحميرى الإسكندري .

قال ليث بن عاصم : رأيته إذا أصبح عصب ساقه بمُشَاقةٍ[2] وبزركتان من طول التهجد رضي الله عنه : وقال الحافظ ابن يونس : كان من العباد المجتهدين[3] .

• قيام مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير :

الإمام القـدوة أبي عبد الله الأَسَدي الزبيري المدني كان من أعبد أهل زمانه . صام هو وأخوه نافع من عمرهما خمسين سنة قالت عنه ابنته أسماء بنت مصعب :كان أبي يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة .

وقال يحيى بن مسكين : ما رأيت أحدا قط أكثر صلاة من مصعب ابن ثابت ، كان يصلى في كلْ يوم وليلة ألف ركعة ، ويصوم الدهر .

وقال مصعب بن عثمان وخالد بن وضاح : كان مصعب بن ثابت يصوم الدهر ، ويصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، يبس من العبادة ، وكان من أبلغ أهل زمانه[4] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٦ - ٣٥٤ .

(٢) المشاقة من الكتان والقطن : ما خلص منه .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٠/٦ - ٤١١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٩/٧ .

• قيام أبي بكر بن أبي مريم :

قال عنه الذهبي : « الإمام ، المحدث ، القدوة ، الرباني شيخ أهل حمص » ضعفه أحمد بن حنبل وغيره من قبل حفظه .

قال يزيد بن هارون : كان من العباد المجتهدين .

وقال بقية : قال لنا رجل في قرية أبي بكر بن أبي مريم - وهي كثيرة الزيتون - ما في هذه القرية من شجرة إلا وقد قام أبو بكر إليها ليلته جمعاء .

وقيل : كان في خديه أثر من الدموع ، رحمة الله عليه[1] .

• الأوزاعي :

قال الوليد بن مَزْيد : كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوى عليه .

وعن الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة من الأوزاعي .

وعن سلمة بن سلّام : نزل الأوزاعي على أبي ، ففرشنا له فراشا ، فأصبح على حاله[2] .

• قيام فتح الموصلي الكبير :

زاهد زمانه : فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي ، أحد الأولياء . كانت له أحوال ومقامات وقدم راسخة في التقوى كان لا ينام إلا قاعدا . وكان بكّاءً ، خوّافا ، متهجدًا[3] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/٦٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/١١٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/٣٤٩ .

• قيام سعيد بن عبد العزيز :

الإمام القدوة مفتي دمشق :

قال الحاكم : سعيد بن عبد العزيز لأهل الشام ،كمالك لأهل المدينة في التقدم والفقه والإمامة .

قال الوليد بن مسلم : كان سعيد بن عبد العزيز يحيى الليل ، فإذا طلع الفجر ، جدّد وضوءه وخرج إلى المسجد .

قال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم : كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة .

قال أبو عبد الرحمن الأسَدي :« قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت : عسى الله أن ينفعني به ، فقال : ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم . وكان رحمه الله إذا فاتته الجماعة بكى »[1] .

رحمة الله عليك يا أبا محمد من أجل علمك وعبادتك كان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وأنت حاضر قال : سلوا أبا محمد . فلا يعرف الفضل لذوى الفضل إلا أهل الفضل .

• قيام هُشَيْم :

الإمام شيخ الإسلام أبي معاوية السُّلَمي .

قال عمرو بن عون : مكث هشيم يصلى الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٢/٨ - ٣٥ .

قال ابن حنبل : لزمت هشيما أربع سنين ، أو خمسا ، ما سألته عن شيء ، إلا مرتين هيبة له ، وكان كثير التسبيح بين الحديث ، يقول بين ذلك : لا إله إلا الله ، يمد بها صوته[1] .

• قيام إسماعيل بن عياش[2] :

محدث الشام . كان من بحور العلم صادق اللهجة ، متين الديانة صاحب سنة ، واتباع ، وجلالة ووقار .

عن أبي اليمان قال :« كان منزل إسماعيل إلى جانب منزلي ، فكان يحيى الليل ، وكان ربما قرأ ، ثم يقطع ، ثم رجع ، فقرأ من الموضع الذي قطع منه ، فلقيته يوما ، فقلت : يا عمّ ، قد رأيت منك في القراءة كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : يا بني ، وما سؤالك ؟ قلت : أريد أن أعلم . قال : يا بنيّ ، إني أصلى فأقرأ ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها ، فأقطع الصلاة ، فأكتبه فيه ، ثم أرجع إلى صلاتي ، فأبتدىء من الموضع الذي قطعت منه »[3] .

• ابن المبارك :

قال نعيم بن حمّاد : قال رجل لابن المبارك : قرأت البارحة القرآن في ركعة ، فقال : لكني أعرف رجلا لم يزل البارحة يكرر ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ إلى الصبح ، ما قدر أن يتجاوزها - يعني نفسه[4] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٩٠/٨ .

(٢) قال الذهبي فى سير أعلام النبلاء : ٣٢١/٨ : حديث إسماعيل عن الحجازيين والعراقيين لا يحتج به . وحديثه عن الشاميين صالح من قبيل الحسن ، ويحتج به إن لم يعارضه أقوى منه .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٧/٨ .

• **علي بن الفضيل بن عياض :**

من كبار الأولياء . مات قبل أبيه ، كان قانتا لله ، خاشعا ، وجلاِ ربانيا ، كبير الشأن .

قال ابن المبارك لفضيل بن عياض : يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع إلى الله ، فسمع ذلك عليّ ، فسقط مغشيا عليه .

وقال الفضيل : أشرفت ليلة على عليّ ، وهو في صحن الدار ، وهو يقول : النار النار ، ومتى الخلاص من النار ؟ وقال لي : يا أبة سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة . ثم قال : لم يزل منكسر القلب حزينا ، ثم بكى الفضيل ، ثم قال : كان يساعدني على الحزن ، يا ثمرة قلبي ، شكر الله لك ما قد علمه فيك .

قال ابن عيينة : ما رأيت أخوف من الفضيل وابنه وقال الفضيل : اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليا ، فلم أقدر على تأديبه ، فأدِّبه أنت لي .

قال أبو سليمان الداراني : كان عليَ بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿ **القارعة** ﴾ ولا تقرأ عليه .

قال الفضيل بن عياض : بكى عليّ ابنى . فقلت : يا بنى ما يبكيك ؟ قال : أخاف ألا تجمعنا القيامة .

وقد مات عليّ رحمه الله من جرّاء آية وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد** ﴾[الأنعام : ٢٧] [1] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٤٢ – ٤٤٦ .

• **قيام أبي بكر بن عيَّاش :**

شيخ الإسلام وبقية الأعلام :

عن أبي عبد الله النخعي قال : لم يُفْرَش لأبي بكر بن عيّاش فراش خمسين سنة .

وقال يزيد بن هارون : كان أبو بكر بن عياش خيِّرا فاضلا ، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة ، وكان رحمه الله يقول : الدخول في العلم سهل ، لكن الخروج منه إلى الله شديد . وكان يقول : يا مَلَكَيّ ادعوا الله لي ، فإنكما أطوع لله مني . وقد روى من وجوهٍ متعددة ، أن أبا بكر مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة .

قال الذهبي : وهذه عبادة يُخضع لها ، ولكن متابعة السنة أولى[(١)] .

• **قيام القاضي أبي يوسف :**

الإمام المجتهد تلميذ أبي حنيفة وصاحبه .

عن ابن سماعة قال : كان ورِد أبي يوسف في اليوم مئتى ركعة[(٢)] .

• **قيام الرقاشي :**

الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد البصري حدّث عن حماد بن زيد ومالك بن أنس .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٩٥ – ٥٠٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٥٣٧ .

قال العجلي : ثقة ، من عباد الله الصالحين . يقال : إنه كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة رحمه الله[1] .

• قيام جرير بن عبد الحميد :

شيخ الإسلام الإمام الحافظ القاضي .... شيخ الرى .

قال علي بن المديني : كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل ، وكان له رش ، يقولون : إذا أعْيَى ، تعلق به – يريد أنه كان يصلى[2] .

• قيام بشر بن المُفَضَّل :

الإمام الحافظ أبو إسماعيل الرقاشي .

قال ابن المديني : كان بشر يصلى كل يوم أربعمائة ركعة ويصوم يوما ويفطر يوما[3] .

• قيام إسماعيل بن عُلَيَّة :

الإمام الحافظ .

قال الذهبي : « كان موصوفا بالدين والورع والتأله ، منظورا إليه في الفضل والعلم ، وبدت منه هفوات خفيفة ، لم تغير رتبته إن شاء الله » .

وكان شعبة يسميه : ريحانة الفقهاء .

قال محمد بن المثنى : بت ليلة عند ابن علية ، فقرأ ثلث القرآن[4] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤٦٢/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٧/٩ ، تذكرة الحفاظ ٣١٠/٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١١٦/٩ .

• **قيام عبد الرحمن بن القاسم :**

عالم الديار المصرية ومفتيها صاحب الإمام مالك . له قدم في الورع والتأله، ذُكر عند الإمام مالك فقال : مثله كمثل جراب مملوءٍ مسكاً .

كان رحمه الله يقول : اللهم امنع الدنيا مني ، وامنعني منها .

عن أسد بن الفرات قال : كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين . قال : فنزل بى حين جئت إليه عن ختمة رغبة في إحياء العلم.قال سحنون : كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل ، يقول لي : يا سُحْنُون ، أنت فارغ ، إني لأحس في رأسي دويا كدويّ النحل - يعني:من قيام الليل - قال : وكان قلما يعرض لنا إلا وهو يقول : اتقو الله ، فإن قليل هذا الأمر مع تقوى الله كثير ، وكثيره مع غير تقوى الله قليل[1] .

• **قيام أبي عُبيد القاسم بن سلّام :**

الإمام الحافظ . قال أبو بكر بن الأنباري : كان أبو عبيد رحمه الله يقسم الليل أثلاثا ، فيصلى ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف الكتب ثلثه[2] .

• **قيام أحمد بن حرب :**

الإمام القدوة ، شيخ نيسابور ، كان من كبار الفقهاء والعبّاد .

قال أبو عمرو محمد بن يحيى : مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون ، فقال أحدهم : أمسكوا ، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل ، فقبض على لحيته ، وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام ؟ فأحيى الليل بعد ذلك حتى مات .

(١) سير أعلام النبلاء ٩/١٢١ - ١٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٧ .

قال زكريا بن حرب : ابتدأ أخي بالصوم وهو في الكتّاب ، فلما راهق ، حج مع أخيه الحسين بن حرب ، فأقاما بالكوفة للطلب ، وبالبصرة وبغداد . ثم أقبل على العبادة لا يفتر . وأخذ في الوعظ والتذكير ، وحث على العبادة ، وأقبلوا على مجلسه .

كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجّام ليحفى شاربه ، يسبح فيقول له الحجّام : اسكت ساعة ، فيقول : اعمل أنت عملك ، وربما قطع من شفته ، وهو لا يعلم .

قال أحمد بن حرب : عبدت الله خمسين سنة ، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء : تركت رضى الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق ، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين ، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة[1] .

• قيام داود بن رُشَيد :

الإمام الحافظ الرحّال الجوّال :

عن إبراهيم الحربي :

قال داود بن رشيد : قمت ليلة أصلي ، فأخذني البرد لما أنا فيه من العرى ، فأخذني النوم ، فرأيت كأن قائلا يقول : يا داود ، أنمناهم وأقمناك فتبكى علينا ؟ قال الحربي : فأظن داود ما نام بعدها ، يعني : ما ترك تهجد الليل[2] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٢/١١ – ٣٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣٣/١٣ – ١٣٤ .

• **قيام راهب الكوفة : هَنّاد بن السَّرِي :**

الإمام الحجة القدوة زين العابدين أبي السّرى .

قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ : كان هناد رحمه الله كثير البكا ء، فرغ يوما من القراءة لنا ، فتوضأ ، وجاء إلى المسجد ، فصلى إلى الزوال ، وأنا معه في المسجد ، ثم رجع إلى منزله ، فتوضأ ، وجاء فصلى بنا الظهر ، ثم قام على رجليه يصلى إلى العصر ، يرفع صوته بالقرآن ويبكى كثيرا . ثم إنه صلى بنا العصر ، وأخذ يقرأ في المصحف ، حتى صلى المغرب . قال : فقلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة ، فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة ، فكيف لو رأيت عبادته بالليل ،وكان يقال له : راهب الكوفة[1].

• **أحمد بن أبي الحواري :**

عن فياض بن زهير : سمعت يحيى بن معين ، وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال : أظن أهل الشام يسقيهم الله به الغيث .

وعن عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري : كنّا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول : قد مات .

وعن محمد بن عوف الحِمْصِيّ : رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس[2] فلما صلى العتمة قام يصلى فاستفتح بـ﴿ **الحمد لله** ﴾ إلى ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، فطفت الحائط كله ، ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت ، ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿ **إياك نعبد** ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح[3] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١١ – ٤٦٦ ، تذكرة الحفاظ ٥٠٧/٢ – ٥٠٨ .

(٢) بلد من سواحل بحر الشام – نقلا عن معجم البلدان .

(٣) سير أعلام النبلاء ٨٧/١٢ – ٨٨ .

• السري السَّقَطِيّ :

الإمام القدوة شيخ الإسلام كما نعته الذهبي :

قال الجنيد : ما رأيت أعبـد لله من السري ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا إلا في علة الموت[(١)] .

• أبو أحمد القلانسي :

القدوة مصعب بن أحمد البغدادي .

قال ابن الأعرابي : حضرنا ليلة عرسه ومعنا الجنيد ، ورويم ومعنا قارىء يقول قصائد في الزهد ، فما زال أبو أحمد عامة ليله في النحيب[(٢)] .

• أبو قِلابة :

الحافظ القدوة العابد محدث البصرة عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي قال أحمد بن كامل القاضي : قيل إن أبا قلابة كان يصلى في اليوم والليلة أربعمـائـة ركعة[(٣)] .

قيل : إن أم أبي قلابة أُريت وهي حامل به كأنها ولدت هدهدا فقال لها عابر : إنْ صدقت رؤياك تلدين ولدا يكثر الصلاة .

• قيام المُسْتَملي أبي عمرو « حكمويه » :

الحافظ الزاهد العابد المجاب الدعوة أحمد بن المبارك .

قال الحاكم : كان مجاب الدعوة وراهب عصره .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧١/١٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧٨/١٣ - ١٧٩ ، تاريخ بغداد ٤٢٦/١٠ .

وقال أيضا : سمعت أبا بكر الصبغي يقول : كان أبو عمرو يصوم النهار ويحيى الليل ، ثم قال : أخبرني غير واحد أن الليلة التي قتل فيها أحمد بن عبد الله – يعني :الظالم الذي استولى على نيسابور – صلى أبو عمرو العتمة ثم صلى طول ليلة وهو يدعو على أحمد بصوت عال : اللهم شق بطنه اللهم شق بطنه[1] .

• قيام محمد بن عبد السلام الورّاق :

تلميذ يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري .

قال ولده عبدان : كان أبي يقول : نحن في مرحلة . وكان يصوم النهار ويقوم الليل ، ويقول : هذا ما أوصانا به يحيى بن يحيى[2] .

• قيام علي بن حَمْشاذ :

الإمام الحافظ شيخ نيسابور .

قال عبد الله ولده : ما أعلم أن أبي ترك قيام الليل.قال أبو بكر بن إسحاق : صحبت عليّ بن حمشاذ في الحضر والسفر ، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة[3] .

• قيام ابن الحدّاد :

شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الكناني المصري الشافعي صاحب « كتاب الفروع » في المذهب .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٧٤/١٣ – ٣٧٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٠/١٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٩٨/١٥ – ٣٩٩ ، تذكرة الحفاظ صـ٨٥٥ .

قال عنه ابن زُولاق - وكان من أصحابه -: كان يختم القرآن في كل يوم ويصوم يوما ويفطر يوما وكان من محاسن مصر .

يقول ابن الحداد : أخذت نفسي بما رواه الربيع عن الشافعي ، أنه كان يختم في رمضان ستين ختمة ، سوى ما يقرأ في الصلاة ، فأكثر ما قدرت عليه تسعا وخمسين ختمة ، وأتيت في غير رمضان بثلاثين ختمة .

وقال المسبِّحي : كان فقيها عالما كثير الصلاة والصيام ، يصوم يوما ، ويفطر يوما ، ويختم القرآن في كل يوم وليلة قائما مصليا[1] .

وفي ابن الحداد يقول أحمد بن محمد الكحّال :

الشافعيّ تفقهاً والأصعمـي تقننـا والتابـعين تزهـــدا[1]

• قيام الصبّغي :

شيخ الإسلام أبي بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الشافعي .

قال الحاكم : سمعت محمد بن حَمْدُون ، يقول : صحبت أبا بكر بن إسحاق سنين ، فما رأيته ترك قيام الليل لا في سفر ولا حضر[2] .

• قيام العسّال :

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني القاضي .

ذكر أبو غالب أنه كان مرة مع صهره فدخل مسجدًا ، وشرع في الصلاة فختم القرآن في ركعة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/٤٤٥ - ٤٥٠ ، طبقات الشافعية ٣/٨١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥/٤٨٥ ، طبقات الشافعية ٣/١٠ .

قال ابنه إبراهيم : لما مات القاضي ، وجلس بنوه للتعزية ، فدخل رجلان في لباس سواد ، وأخذا يولْوِلان ويقولان : وإسلاماه ، فسئلا عن حالهما ، فقالا : إنا وردنا من أغمات[1] من المغرب ، لنا سنة ونصف في الطريق في الرحلة إلى هذا الإمام لنسمع منه ، فوافق ورودنا وفاته[2] .

• قيام الغطريفي :

الإمام الحافظ الرّحال أبي أحمد ، محمد بن أحمد بن حسين الغطريفي الجرجاني الرباطي الغازي :

كان مع علمه وحفظه صوّاما قوّاما متعبدا[3] .

• قيام حُسَيْنَك « ابن مُنَيْنَة » :

الإمام الحافظ الأنبل القدوة أبي أحمد ، الحسين بن علي بن محمد النيسابوري .

قال الحاكم : هو شيخ العرب في بلدنا ، صحبته حضرا وسفرا ، فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة ، فكان يقرأ سبعا كل ليلة ، وكانت صدقاته دارّة سرا وعلانية . أخرج مرة عشرة من الغزاة بآلتهم عوضا عن نفسه ، ورابط غير مرة . وكان ابن خزيمة يبعثه إذا تخلف عن مجلس السلطان ينوب عنه . وكان يعزه ويقدمه على أولاده ، وفي حجره تربّى[4] .

---

(١) أغمات : ناحية من بلاد المغرب قرب مراكش « معجم البلدان » .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/١٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٥٤/١٦ – ٣٥٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٠٧/١٦ – ٤٠٨ .

• **قيام ابن جِنْزَابة[1] :**

الإمام الحافظ الوزير الأكمل ، أبي الفضل ، جعفر بن الوزير الفضل بن جعفر كان متعبدا يصوم ثم يفطر ثم ينام ، ثم ينهض في الليل ، ويدخل بيت مصلاه ، فيصف قدميه إلى الفجر[2] .

• **قيام عطية بن سعيد :**

الإمام الحافظ القدوة الكبير ، شيخ الوقت ، أبي محمد الأندلسي **القَفْصي** .

قال الخطيب : حدثنا عنه أبو الفضل عبد العزيز بن المهدي قال : وكان زاهدًا لا يضع جنبه على الأرض ، إنما ينام محتبيا[3] .

• **البُنْدار :**

الشيخ الصالح القدوة ، أبو محمد ، عبد الخالق بن هبة الله بن القاسم الحريمي .

قال عنه ابن النجّار : كان صالحا ، زاهدا ، كثير العبادة ، حسن السمت ، على منهاج السلف ، كأنَّ النور يلوح على وجهه ، ويجد الناظر إليه رَوْحا في نفسه[4] .

---

(١) جِنزابة : جارية هي والدة الفضل الوزير ، وفي اللغة : هي القصيرة السمينة .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٨٥/١٦ - ٤٨٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٢/١٧ - ٤١٣ ، تاريخ بغداد ٣٠٣/١٠ - ٣٠٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٢١ - ٣٢٩ .

• **قيام الإمام عبد الغني المقدسي :**

العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري عالم الحفاظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي .

كان يصلي ويلقّن القرآن ، وربما أقرأ شيئا من الحديث تلقينا ، ثم يقوم فيتوضأ ، ويصلى ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر ، وينام نومة ثم يصلى الظهر ، ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائما أفطر ، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء ، ويصلى العشاء ، وينام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم يقوم كأن إنسانا يوقظه ، فيصلى لحظه ، ثم يتوضأ ويصلى إلى قرب الفجر ، وربما توضأ سبع مرات أو ثمانيا في الليل ، وقال : ما تطيب لي الصلاة إلّا ما دامت أعضائي رطبة ، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر ، وهذا دأبه .

وقال محمود بن سلامة التاجر الحرّاني : كان الحافظ عبد الغني نازلا عندي بأصبهان ، وما كان ينام من الليل إلا قليلا ، بل يصلى ويقرأ ويبكى وسمعت الحافظ يقول : أضافني رجل بأصبهان ، فلما تعشينا كان عنده رجل أكل معنا ، فلما قمنا إلى الصلاة لم يصل ، فقلت : ماله ؟ قالوا : هذا رجل شمسي[1] ، فضاق صدري ، وقلت للرجل : ما أضفتني إلا مع كافر !، قال : إنه كاتب ، ولنا عنده راحة ، ثم قمت بالليل أصلى وذاك يستمع ، فلما سمع القرآن تزفر ، ثم أسلم بعد أيام ، وقال : لما سمعتك تقرأ وقع الإسلام في قلبي .. الله الله يا لصدق الحافظ وأكرم بها من كرامة للشيخ الذي كان يملك العادل عنه : دخل عليّ فخُيّل إلي أنه أسد[2] .

---

(١) يعبد الشمس .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/٢١ – ٤٥٥ ، ٤٦٣ – ٤٦٤ .

ذكر أبو المظفر الواعظ في « مرآة الزمان » عن الحافظ عبد الغني المقدسي أنه كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، ويقوم الليل ويحمل ما أمكنه إلى بيوت الأرامل واليتامى سرًا ، وضعف بصره من كثرة البكاء والمطالعة .

- **قيام الإمام أبي عُمر المقدسي :**

المحدث البركة شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، واقف المدرسة .

قال عنه الحافظ الضياء : كان لا يسمع دعاءً إلا حفظه في الغالب ، ودعا به ، ولا حديثا إلا وعمل به ، ولا صلاة إلا صلَّاها ، كان يصلي بالناس في النصف[1] مئة ركعة وهو مسنّ ، ولا يترك قيام الليل من وقت شُبُوبيته ، وإذا رافق ناسا في السفر ناموا وَحَرَسهم يصلي .

قال الذهبي : كان قدوة صالحا، عابدا قانتا لله ، ربانيا ، خاشعا مخلصا عديم النظير ، كبير القدر ، كثير الأوراد والذكر ، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة ، قَلَّ أن ترى العيون مثله .

كان ربما تهجد فإن نعس ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس . ويتلو كل ليلة سُبْعا مرتلا في الصلاة ، وفي النهار سُبْعا بين الصلاتين ، ويصلي طويلا بين العشاءين ، ويصلي صلاة التسبيح كل ليلة جمعة . كانت نوافله في كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة . يقول عنه الشيخ الموفق : ربانا أخرى وعلمنا ، وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يحرص عليهم ويقوم بمصالحهم وهو الذي هاجر بنا وهو سَفَّرنا إلى بغداد ، وحين رجعنا زوجنا وبنى لنا دورا ، وكان قلما يتخلّف عن غزاة[2] .

---

(١) يعني في نصف شعبان .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/٦ - ٧ .

• **قيام الحافظ أحمد بن مهدي بن رستم :**

الزاهد العابد أبي جعفر الأصبهاني . سمع أبا نعيم وقبيصة وروى عنه محمد بن يحيى بن منده .

قال أبو نعيم : كان صاحب أموال أنفق على أهل العلم ثلاثمائة ألف درهم .

قال عنه محمد بن يحيى بن منده : لم يحدث ببلدنا منذ أربعين سنة أوثق منه ، صنف المسند ، ولم يعرف له فراش منذ أربعين سنة ، صاحب عبادة .

روى أبو الشيخ عن أبي على أحمد بن محمد بن إبراهيم أن أحمد بن مهدي ذكر أنه جاءته امرأة ببغداد ليلة فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت : فبالله استرني ، وقد أكرهت ، وأنا حبلى فلا تفضحني ، فقد قلت : إنك زوجي ، فسكت ، فبعد أيام جاءني إمام المحلة والجيران يهنئوني بالولد فشكرتهم ، ووزنت دينارين ليوصلها للمرأة نفقة ، وكنت أعطيها كل شهر دينارين إلى أن صار للولد سنتان . فمات فجاءوا يعزونني فأظهرت التسليم لله ، ثم بعد أيام جاءت بالذهب وقالت : سترك الله خذ ذهبك ، فقلت : هذه الدنانير كانت صلة مني للصغير وأنت قد ورثتيه .

سترك الله يا إمام بما سترت على المسلمين وأورثك جنات النعيم .

• **قيام شيخ الإسلام : بقى بن مخلّد :**

الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن القرطبي صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم : ما صنف تفسير مثله أصلا .

قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢ /٦٣٠ -٦٣١ « كان إماما علما قدوة مجتهدا لا يقلد أحدا صالحا عابدا متهجدا أوَّاها عديم النظير في زمانه ،

ذكره أحمد بن أبي خيثمة فقال : ما كنّا نسميه إلا المكنسة ، وهل يحتاج بلد فيه بقيّ أن يأتي منه إلينا أحد ؟ .

قال بقي عن نشره للحديث وإظهاره مذهب أهل الأثر : لقد غرست للمسلمين غرسا بالأندلس لا يقلع إلا بخروج الدجال .

وذُكر عن بقيّ خير ونسك وإيثار حتى بثوبه ، وكان مجاب الدعوة وقيل : إنه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ، ويسرد الصوم ، وحضر سبعين غزوة » . وهكذا أهل الله .

• قيام الحصيري :

الحافظ الإمام أبي محمد جعفر بن أحمد النيسابوري .

سمع إسحاق بن راهويه . وهو أحد أئمة هذا الشأن .

قال الحاكم : قال لي سبطه محمد بن أحمد السكري : كان جدي قد جزأ الليل ، ثلثا يصلي ، وثلثا ينام ، وثلثا يصنف ، وكان مرضه ثلاثة أيام لا يفتر فيها من قراءة القرآن[1] .

• قيام الجويني :

الحافظ أبي عمران موسى بن العباس صاحب المسند الصحيح على هيئة صحيح مسلم .

قال عنه الحسن بن أحمد : كان أبو عمران الجويني في دارنا وكان يقوم الليل ويصلي ويبكي طويلًا[2].

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٠٢/٢ – ٧٠٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٨١٨/٣ .

• قيام ابن زياد :

الحافظ المجود العلّامة أبي بكر عبد الله بن زياد بن واصل النيسابوري الفقيه الشافعي .

قال يوسف القواس : سمعت أبا زكريا النيسابورى يقول : تعرف من قام أربعين سنة لم ينم الليل ، ويتقوت كل يوم بخمس حبّات ، يصلى الغداة على طهارة العشاء الآخرة ؟ ثم قال : أنا هو ، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمٰن ، أيش أقول لمن زوّجنى ؟ ثم قال : ما أراد إلّا الخير[1].

• قيام أبي النضر شيخ الشافعية :

الإمام الحافظ شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يوسف الطوسى .

قال عنه الحاكم : رحلت إليه مرتين ، وسألته متى يتفرغ للتصنيف مع هذه الفتاوى ؟ فقال : جزّأت الليل ، فثلثه أصنف ، وثلثه أقرأ القرآن ، وثلثه للنوم . وما رأيت في مشايخنا أحسن صلاة منه ، وكان يصوم الدهر ويقوم الليل[2] .

• قيام النرسي :

الحافظ محدث الكوفة أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون المقريء .

قال عنه ابن ناصر : كان النرسي حافظًا ثقة متقنًا ما رأينا مثله ، كان يتهجد ويقوم الليل[3].

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٢٠ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٨٩٣/٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٢٦٠/٤ - ١٢٦١ .

• **قيام الإمام الحازمي :**

الحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمذاني :

قال ابن النجار : سمعت أبا القاسم المقرىء جارنا يقول - وكان صالحًا - : كان الحازمي في رباط البديع ، وكان يدخل بيته فى كل ليلة يطالع ويكتب إلى الفجر ، فقال البديع للخادم : لا تدفع إليه الليلة بزرا للسراج فلعله يستريح الليلة ، فلما جن الليل اعتذر إليه الخادم لانقطاع البزر ، فدخل بيته وصفّ قدميه ، ولم يزل يصلى ويتلو إلى أن طلع الفجر ، وكان الشيخ خرج ليعلم خبره فوجده في الصلاة[1] .

• **قيام ابن الحصري :**

الإمام الحافظ شيخ القرّاء برهان الدين أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج نزيل مكة وإمام الحطيم .

قال عنه ابن النجار : كان حافظا حجة نبيلا من أعلام الدين جم العلم كثير المحفوظ كثير التعبد والتهجد[2] .

• **قيام ابن دقيق العيد :**

الإمام الفقيـه المجتهد الحافظ شيخ الإسلام أبي الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي الشافعي .

قال عنه الذهبي : كان من أذكياء زمانه واسع العلم كثير الكتب مديمًا للسهر مكبّا على الاشتغال ساكنا وقورا ورعا قلّ أن ترى العيون مثله .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٣٦٣/٤ - ١٣٦٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٣٨٢/٤ - ١٣٨٣ .

وقال عنه الحافظ قطب الدين الحلبي : كان الشيخ تقي الدين إمام أهل زمانه وممن فاق بالعلم والزهد على أقرانه ، عارفا بالمذهبين ، إماما في الأصلين ، آية في الحفظ والإتقان والتحري شديد الخوف دائم الذكر لا ينام الليل إلا قليلا ويقطعه فيما بين مطالعة وتلاوة وذكر وتهجد حتى صار السهر له عادة ، أوقاته كلها معمورة لم ير في عصره مثله[1] .

• قيام أسد الشام اليونيني :

الزاهد العابد .

قال عنه الحافظ الذهبي : كان شيخا طويلا مهيبا شجاعا حادّ الحال ، كان يقوم نصف الليل إلى الفقراء ، فمن رآه نائما وله عصا اسمها العافية ضربه بها ، ويحمل القوس والسلاح ، وكان أمارا بالمعروف لا يهاب الملوك حاضر القلب ، دائم الذكر ، بعيد الصِّيت .

قال الشيخ على القصار : كنت أهابه كأنه أسد ، فإذا دنوت منه وددت أن أشق قلبى وأجعله فيه[2] .

• قيام أبى محمد الروابطّى :

من كبار الزهاد بالأندلس .

أخذ عنه ابن مَسْدِيّ وقال : كان يسيح بثغور الأندلس ، يأوى في مساجد البر ، له كرامات ، أُسر إلى طرطوشة وقيّدوه ، فقام النصراني ليلة

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨١ – ١٤٨٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٠١ – ١٠٢ ، انظر كتابنا « فرسان النهار » .

فرآه يصلي ، وقَيْده إلى جنبه ، فتعجب ، فلما أصبح رآه في رجله ، فرقبه ثاني ليلة فكذلك ، فذهب فأخبر القسس ، فقالوا : احضروه فجاء به ، وجرت بينه وبينهم محاورة ، ثم قالوا : لا يحل أن نأسرك فاذهب ، ولطرطوشة نهر تعمل فيه السفن ، فلقيه أسير فقال : بالله خذني فأخذ بيده وخاض إلى نصف الساق ، فتعجبت النصاري ، وشاعت القصة[1] .

... أخي : ويمضي ركب المتهجدين يخفي سرهم ظلام الليل وتتباهى الأيام بما وصل إلينا من أريجهم الفوّاح ... وما أكثرهم وأطيبهم وأنداهم . والمجهولون الذين لا نعرفهم لا يضرهم ذلك ، فإن الذي أكرمهم بالقيام يعرفهم وإنْ جهلهم من شملتهم الغفلة مثلي وغاب عن دربهم ، ونأت به المعصية عن ركبهم .. فلعلّ صوت حاديهم أن يزعجنا يوما للسفر إلى دارهم

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٢٩ - ٣٣٠ .